تدبر القرآن الكريم

المصطلح والوسائل والغاية

تأليف

عبدالله موسى محمد أبو المجد

الأستاذ المشارك بجامعتي الأزهر والإمام محمد بن سعود
كلية أصول الدين – قسم القرآن وعلومه .

١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

القرآن غذاء القلب والروح والجسد، ودستور الحياة الخالد، ومنهج الله –تعالى- لعباده التالد، والمسلمون به أعزاء سادة أحياء، ماقرأوه وحفظوه، وفهموه وتدبّروه، وطبّقوه ونفّذوه، وعلى جميع أعرافهم وتقاليدهم قدّموه وحكَّموه. وعليه فالمسلمون أولى الناس بأن يجدّدوا دراساتهم حول كتابهم الخالد، ويعدّلوا من سلوكهم نحوه ؛ ليواكبوا الحياة بتطوّرها ، ويؤكدوا لأنفسهم أولاً ، وللعالم ثانياً أن القرآن صالح لكل زمان ومكان ، ومن ثمّ لم يكن خاصاً بعصور الإسلام الأولى ، ولا بالجزيرة العربية ، ويأتي هذا البحث لتصحيح هذا المسار في أربع جولات :-

الأولى : عن بيان حقيقة مصطلح التدبر في اللغة والاصطلاح، وبيان علاقته ببعض المصطلحات الأخرى، ثم حديث القرآن عنه وعن أهميته .

والثانية : عن صوارف التدبر وموانعه، شخصية كانت أو أسرية واجتماعية .

والثالثة : عن بعض الوسائل المعينة على التدبر، قبل البدء وأثناءه وبعده.

والأخيرة : في أهم غايات التدبر وثماره .

والله الموفق والمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيِّمًا هادياً إلى الصراط المستقيم إلى يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف خلقه، خاتم النبيين والمرسلين ، خير المتدبِّرين الموحِّدين الهادين إلى صراط الله المستقيم.

ثم أما بعد..

فإن حاجة المسلمين اليوم ماسّة للعودة إلى القرآن الكريم قراءة وتدبراً واستنباطاً ، وفهماً وتطبيقاً– وهو الأهم – من أجل استئناف المسيرة الحضارية، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك، باعتبار القرآن الكريم مصدراً رئيساً في التشريع والمعرفة والأخلاق .

والناظر في أحوال المسلمين اليوم يجد عجباً عجاباً، حيث انصرف كثير منهم عن كتاب الله –تعالى–، وولوّه ظهورهم – إلا من رحم ربي– وحتى معظم هؤلاء الذين أوْلَوا القرآن شيئاً من عنايتهم واهتماماتهم تعاملوا معه تعاملاً باهتاً خافتاً لا يليق وجلال القرآن، فانشغلوا بإقامة الحفظ، وتحقيق الحروف وتدقيق المخارج، عن فهمه وتدبره...، وهذا مهم ، لكن الأهمّ منه أن لا يذهلوا بذلك عن المقصود الأَوْلى والأهمّ، وهو الفهم والتدبر، ومن ثَمّ التطبيق والعمل.

وما النكبات الخُلقية والاجتماعية والاقتصادية..وغيرها التي أصابت الأمة إلا نتيجة حتمية لعدم فهم نصوص الشريعة وتدبرها وتطبيقها قرآنا وسنة : **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ ﴾** طـــــه: ١٢٤ – ١٢٥ وهذا البحث يأتي ليلقي ضوءاً على بعض صور تعامل المسلمين مع كتابهم الخالد، ويكشف عن بعض هذه الصوارف التي تصرفهم عن التدبر، ويقدّم حلاً سهلاً سريعاً لها، مع الإرشاد إلى بعض الوسائل المعينة على التدبر، ومن هنا تأتي **أهمية البحث وأسباب اختياره** .

خطة البحث :

هذا ومن خلال ما سبق يتبين أن البحث مقسّم إلى مقدمة ، **وأربعة مباحث** وخاتمة .

فالمبحث الأول : حدود ومفاهيم .

وفيه ثلاثة مطالب :

فالأول : عن حقيقة مصطلح التدبر في اللغة والاصطلاح .

والثاني: عن علاقة التدبر بالمصطلحات الأخرى .

والثالث: في حديث القرآن عن التدبر وأهميته .

أما المبحث الثاني : موانع التدبر وصوارفه .

وفيه مطلبان :

فالمطلب **الأول** : موانع شخصية .

والثاني : موانع أسرية واجتماعية .

وأما المبحث الثالث:وسائل تدبر القرآن الكريم وطرقه .

وفيه ثلاثة مطالب :

فالمطلب الأول : طرق تمهيدية قَبْلية .

والمطلب الثاني : طرق أثناء التلاوة .

والمطلب الثالث : طرق بَعدية .

المبحث الرابع والأخير : غايات التدبر وثماره .

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

منهج البحث وخطواته :

سيسلك البحث "**المنهج الاستقرائي النقدي**" وذلك برصْد بعض الظواهر المتعلقة بالدراسات التفسيرية ثمّ نقدها نقداً بنّاء ، وعرضها على المنهج العلمي القويم .

هذا وتتسم خطوات معالجتي لهذا الموضوع بما يلي :-

أولاً: سأعرض أهم المعاني اللغوية للتدبر دون الاستقصاء، ثم التعرض لأهم التعريفات الإصطلاحية أيضاً.

ثانياً: سأوضح – بإذن الله تعالى – علاقة مصطلح التدبر ببعض المصطلحات الأخرى التي قد تتداخل معه موضحاً أولاً تعريف كل منها ، ثم مبرزاً أهم جوانب العلاقة بينها وبين التدبر ثانياً.

ثالثاً: عرضت في نظرة موضوعية عامة حديث القرآن عن التدبر ، وقسّمت الآيات إلى ثلاث مجموعات ، وأبرزت بعض الأسرار القرآنية في التعبير وجماليات النظم ، مع بيان المناسبة والمعنى العام .

رابعاً: عرضت جملة من صوارف الناس عن التدبر ، وقسّمتها إلى: شخصية ، وأسرية اجتماعية ، وعرضت الحلول لها ، وقدَّمتها على الوسائل من باب درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

خامساً: عرضت في مبحث مستقل أهم الطرق والوسائل المعينة على التدبر ، وقسّمتها إلى ثلاث مجموعات ، قَبْله ، وأثناءه ، وبعده،من باب التنويع وتكثير الفائدة ، وركّزت الحديث فيها على أهم المعالم حتى لا يتشعب الموضوع ، وإلا فهو حديث فيّاض ذو شجون.

سادساً: ذكرت أهم الثمار والقطاف التي يمكن أن يجنيها المتدبّر من تدبّره في نهاية البحث ، وإلا فهي الأخرى فضفاضة ذات شجون.

سابعاً: قمتُ بعزو الآيات إلى سورها في المتن ؛ لئلا تطول الحاشية ، وخرّجت الأحاديث من مصادرها الأصيلة، مُقدّماً الحكم عليها ، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت ، وإلا تتبعت قدر المستطاع ، وترجمت لبعض الأعلام غير المشهورين.

ثامناً: عزوت الأقوال لأصحابها في كتبهم ، فبركة العلم نسبته لقائليه، ورجعت في حدود ضيقة لبعض المقالات والأبحاث المنشورة على شبكة المعلومات الدولية ، وأشرت إلى روابطها.

تاسعاً: ذيّلت البحث بثبتَيْن لتسهيل الوصول إلى المطلوب ، الأول ثبْت بأهم المصادر والمراجع ، والثاني ثبْت بالموضوعات التي تناولها البحث . وبعد فإن كنت وُفّقت في عرض هذا الموضوع وخدمته خدمة علمية تليق بجلال القرآن الكريم وعظمته فلسان حالي ومقالي يرددان: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ **البقرة: ٢٨٦.** .

وكتبه أبو البراء

د/ عبدالله موسى محمد أبو المجد

في جمادى الآخر ١٤٣٤هـ الموافق أبريل٢٠١٣م

المبحث الأول : حدود ومفاهيم .

أول ما يُعنى به كل باحث في مطلع كلامه أن يوضّح المراد من بحثه ، ويبيّن حدّه ، وما يتعلّق به من مصطلحات ومفاهيم ؛ حتى تتضح معالمه كلّها للناظرين والمطالعين، ومن ثمّ فإن معالم ومطالب هذا البحث – والتي أريد أن أنوّه إليها – متعددة كما يلي :

المطلب الأول : مصطلح " التَّدَبُّر" في اللغة والاصطلاح .

أولاً : من مدلولات "التَّدَبُّر" ومشتقاته في اللغة .

من المعلوم أن مصطلح " التدبُّر" أصل مادته من الثلاثي "دَبَرَ" والمطالع لمعاجم اللغة يجد أن هذه المادة تدور في اللغة حول معان عديدة ، لكني لا أقف معها كلها بل أقتصر – فيما أراه – على أبرزها وأظهرها ، وهي كما يلي :

أ – مؤخرة الشيء ونهايته.

وفي ذلك يقول ابن سيده (٤٥٨هـ) : " ودُبُر كل شيء : عَقِبُه ومؤخِّره ، ودُبُر الشهر : آخره ،يقال : جئتك دُبُر الشهر ،وفي دُبُره،وعلى دُبُره، والجمع من كل ذلك أدْبار..ودُبُر البيت: مؤخره وزاويته"(١)

ومن ذلك : الدُّبُر الذي يُكنى به عن مؤخرة الإنسان ونحوه ، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ **الأنفال: ٥٠** ، وذلك " حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه" (٢) أو قُدّامهم وخلفهم .

ويُذكر هذا المدلول مقابل "القُبُل" كثيراً ، ويُكنى بهما عن العضوَيْن المعروفيْن ، ويُطلق "الدُّبُر" على الظَّهْر أيضاً كما هو معلوم .

ب – النّظر في عواقب الأمور .

في هذا المعنى يقول الخليل (١٧٥هـ) : " والتَّدْبير نظر في عواقب الأمور ، وفلان يتَدَبَّر أعجاز أمور قد وَلّت صدورها" (٣) أي يتأمل فيها وينظر في عواقبها.

ويقال : "استَدْبَر فلان من أمره ما لم يكن استقبل ، أي نظر فيه مستدبراً فعرف مِنْ عاقبته ما لم يعرف مِنْ صدره ، ويقال: تَدَبَّرَ: نظر في أدباره أي في عواقبه" (٤).

ج – التَّفَكُّر والتَّفَهُّم.

وفي ذلك يذكر صاحبا "البصائر والتاج" وغيرهما أن: التدبُّر هو التفكُّر والتفهُّم فى دُبُر الأمور ، ومما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى :﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **المؤمنون: ٦٨** أي: ألم يتفهموا ما خُوطبوا به في القرآن ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ **النساء: ٨٢** أي:أفلايتفكرون فيعتبروا(٥).

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٤٥٨هـ) ٣١٠/٩"دبر" بتصرف تح د/عبد الحميد هنداوي ط دار العلمية٢٠٠٠م .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمدبن جرير الطبري(٣١٠هـ)١٥/١٣،تح /أحمد شاكر،ط الرسالة ببيروت ٢٠٠٠م.

(٣) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ) ٣٣/٨ "دبر" تح د/ مهدي المخزومي وآخر، ط دار الهلال بالقاهرة

(٤) العين ٣٣/٨ "دبر" بتصرف.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي محمّد بن محمّد الحسيني (١٢٠٥هـ) ٢٦٦/١١ بتصرف، تح/ مجموعة من المحققين، ط دار الهداية ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٨١٧ هـ) ٥٨٨/٢"دبر"، تح أ/محمد النجار، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة١٩٩٦م.

د- التولّي والذّهاب .

ومن ذلك أنه "يُقال للقوم في الحرب إذا فرّوا : ولُّوّهم الدُّبُر والأَدْبار، وأما الإِدْبار فالتولية نفسها، وإدبار النجوم عند الصبح في آخر الليل إذا أدْبرَت مولية نحو المغرب"⁽¹⁾ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ (١٦) ﴾ **الأنفال: ١٦**

ومنه أيضاً قولهم : " دَبَرَ بالشيء ذهب به ، ودَبَرَ الرجلُ ولَّى وشَيَّخَ " (٢) ومنه قوله تعالى﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ (٣٣) ﴾ **المدثر: ٣٣** أي : ولّى وذهب"(٣).

هـ - الهجر والمقاطعة .

والتدابر:المُصَارمة والهِجْران،مأخوذ من أن يولّي الرجل صاحبه دبره وقفاه، ويعرض عنه بوجهه ويهجره(٤).
وفي الحديث : (لا تَبَاغضوا ولا تَحاسَدوا ولا تَدَابَروا..)(٥) فالتدابر المعاداة، وقيل: المقاطعة ؛ لأن كل واحد يولّي صاحبه دبره (٦) ، وقيل: لا يذكر أَحدكم صاحبه مِنْ خَلْفه(٧) .
....إلى غير ذلك من المعاني والمدلولات المفصّلة في معاجم العربية وكتبها.

---

(١) المصدر نفسه ٣٢/٨ "دبر" بتصرف.

(٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)١٣١٩/٢ "دبر" ، تح أ/عبد الله الكبير،ط دار المعارف بالقاهرة.

(٣) قوله تعالى(**وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ**) يُقرأ بإسكان الذّال، وقطع الألف بعدها ،ويُقرأ بفتح الذّال والوقوف على الألف بعدها، وحذف الهمزة من «أدبر»، وكلتاهما سبعيتان ، والحجة لمن قرأ بقطع الألف: أنه زَاوَج بذلك بين لفظيْ «أدبر» و «أسفر» ، والحجة لمن حذف الهمزة: أنه أراد به معنى: ولّى وذهب، والعرب تقول: أدْبَر عنّي أي: وَلّى، ودَبَر أي: جاء خلفي.
وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، أَدْبَر ودَبَر، كأقْبَل وقَبِل.(يراجع: الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) ص ٣٥٥ بتصرف، تح د/ عبد العال سالم مكرم،ط دار الشروق - بيروت١٤٠١هـ).

(٤) العين للخليل ٣٤/٨ "دبر"، وتاج العروس ٢٦٥/١١ بتصرف.

(٥) **متفق عليه** : رواه البخاري –واللفظ له- في صحيحه ك(الأدب)ب(ماينهى عن التحاسد والتدابر)ح(٥٧١٨) يراجع: الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ) ٢٢٥٣/٥ تح د/مصطفى البغا، ط دار ابن كثير - بيروت١٩٨٧م،ومسلم في صحيحه ك(البر والصلة)ب(تحريم التحاسد والتباغض) ح(٦٧٠٦) يراجع: الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) ١٠/٨، ط دار الجيل بيروت .

(٦) يراجع : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي(٦٧٦هـ)١١٦/١٦ ،ط إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

(٧) بصائر ذوي التمييز٥٨٧/٢"دبر".

والخلاصة :

أنه من خلال النظر في هذه المدلولات السابقة – التي هي أبرز مدلولات مادة"دَبَرَ"- نجد أن أقربها لما نحن بصدد الحديث عنه المعاني الثلاثة الأُول ، وأن أصل المادة يدور حول معنى واحد وهو "أواخر الأشياء وعواقبها والتفكّر فيها" .

وعليه فالتدبّر لغة يعني: **"النظر في أواخر الأشياء والتأمّل في عواقبها"**

وفي ذلك يقول ابن فارس (٣٩٥هـ) : " الدال والباء والراء أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء، وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه، وتشذّ عنه كلماتٌ يسيرة.." (١) .

هذا ويرى بعض العلماء أن المادة تدور حول معنى محوَريّ آخر وهو : امتداد غائر إلى آخر الشيء أو خلفه بقوة ضغط أو اندفاع ، فالدُّبُر أقصى جزء من قناة تخترق الجسم ، ويجري فيها الطعام والشراب(٢) وهو أيضاً يمكن إرجاعه إلى المعنى السابق ، والله أعلم .

ثانياً : التعريف الاصطلاحي .

يجدر بالبحث قبل أن يتعرض للتعريف الاصطلاحي أن ينّبه على أمرين هما :-

أ- أن مصطلح"التدبّر" له مدلولان ، مدلول عام ، يفيد التفكر في عواقب الأمور كلّها ، ومدلول خاص، يُفَسّر بما يُضاف إليه ،كتدبّر القرآن... ونحوه ، وتركيزنا على النوع الثاني لا الأول .

ب- أن مشتق "التدبّر" من الكلمات الواردة في القرآن الكريم على أصل معناها اللغوي ، ولم تُنقل إلى اصطلاح شرعي جديد ، بل بقيت على أصل استعمالها اللغوي(٣).

وعليه فإن تعريف "التدبر"اصطلاحاً لايبعد كثيراً عن التعريف اللغوي السابق ، ومن ثمّ تقاربت تعاريف العلماء لهذا المصطلح فمثلاً :

عرّفه البغوي (٥١٠هـ) بقوله : " والتدبر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كلّ شيء آخره" (٤).

وعرّفه الزمخشري (٥٣٨هـ) بقوله : " تدبُّر الأمر : تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استُعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما فيه" (١).

---

(١)معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) ٣٢٤/٢ "دبر" تح أ/ عبد السلام هارون ،ط دار الفكر-بيروت ١٩٧٩م.

(٢) يراجع : المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ.د/محمد حسن جبل ٦٢٨/٢"دبر"بتصرف ، ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

(٣) إفادة من ورقة عمل: تحرير معنى التدبر عند المفسرين د/فهد الوهبي ص٨٧ بتصرف،ضمن أوراق العمل المطبوعة بكتاب"مفهوم التدبر-تحرير وتأصيل" والمقدمة في الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم التابع لمركز"تدبر" بالرياض ١٤٣٠هـ.

(٤)معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٠هـ)٦٦٧/١،تح/عبد الرزاق المهدي،ط إحياء التراث -بيروت١٤٢٠هـ.

وعرّفه الآلوسي (١٢٧٠هـ)بقوله : " وأصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استُعمل في كل تأمّل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه ، أم سوابقه وأسبابه ، أم لواحقه وأعقابه " (٢).

وعرّفه الميداني بقوله : " التدبرهو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة" (٣)

ولا تخرج بقية التعاريف عن هذا الإطار – وإن اختلفت العبارة فيما بينها – ونخلص من هذا كله بتعريف أوعب للتدبر **بمعناه الخاص فأقول** – وبالله التوفيق– :

التدبّر هو : " تفهّم معاني آيات القرآن ، وإعمال النظر في دقائق وأسرار تعبيراتها المختلفة ، وما فيها من الحِكَم والمعارف(٤) ؛ ليخشع القلب بذلك ويتأثر ، وتنساق الجوارح للعمل والتطبيق " (٥).

ومن خلال التأمل في هذا التعريف وما سبقه يتبين لنا أن المتدبر لكتاب الله ينبغي أن يتلبّس بعدة أمور :

الأول : القراءة نظراً أو حفظاً ، **والثاني** : معرفة المعاني والتفسير ، **والثالث** : التأمّل والتفكّر ، **والرابع** : تأثر القلب وخشوعه ، **والخامس** : التطبيق وانسياق الجوارح للعمل.

وفي نظري أن اجتماع هذه الأمور الخمسة يمثل أعلى درجات التدبّر، وقد يتخلّف شيء منها فيكون القارئ حينئذ متدبراً أيضاً ولكن على درجة ما ، ولعله يرقى إلى الكمال بالدُّرْبة والمران مستقبلاً– بإذن الله تعالى– ما صلحت نيته ، وصفا قلبه ، ورائده في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ **الأنفال: ٧٠** .

هذا وإن مجيء مصطلح "التدبر"على صيغة "التفعُّل" يفيد عدّة فوائد أهمها :

أولها: التكلُّف وبذل الجهد .

ثانيها: التدُّرج والتمهُّل .

---

(١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨ هـ)١/٥٤٠ ، ط الكتاب العربي . بيروت١٤٠٧ هـ

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ)٣/٨٩،تح أ/ على عطية ،ط العلمية . بيروت١٤١٥ هـ.

(٣) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل د/ عبدالرحمن حسن الميداني ص١٠،ط دار القلم بدمشق١٤٠٩هـ.

(٤) اعتاد كثير من الباحثين في مثل هذا الموطن أن يضعوا الفاصلة المنقوطة (؛) على أنها توضع بين جملتين ، الثانية علة للأولى ، وهذا خطأ شائع لأن الثانية في هذا الموضع وأشباهه ليست جملة ، إنما هي شبه جملة بُدئت بحرف جر ، فضلاً عن أن الكلام لم يتم بعد ، وكذلك لا تُوضع قبل كل جملة بُدئت بـ "لام العلة أو الفاء أو إذ أو حيث "والله أعلم (يراجع:الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية/أ/محمود عبد الرازق جمعةص٣٠٩،ط الهيئة المصرية العامة٢٠٠٩م).

(٥) أفدت بعض العبارات من: مفهوم التدبر– تحرير وتأصيل ص٧٧،٩٣ ،وتدبّر القرآن د/ سليمان السنيدي ص١١، ط الثانية–ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي٢٠٠٢م.

ثالثها : التكثير والمبالغة، وحصول الفعل مرة بعد أخرى مع الصبر والتحمّل (١).

وهذه أمور تقتضيها عملية التدبر أيضاً، فحتى يؤتي أكله وثماره الطيبة، ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمُّل والتفكُّر، ويتمهّل ولا يعجل ، ويكرّر النظر مرة بعد مرة ، ويتجلّد بالصبر ولا يملّ ، والله أعلم.

المطلب الثاني : **علاقة التدبر بالمصطلحات الأخرى.**

مدخل:

قد يبدو للوهلة الأولى أن بعضاً من المصطلحات والمفاهيم القريبة من معنى "التدبر" تتداخل معه وتلتبس به، كالاستنباط والتفكُّر والتعقُّل... والأمر بخلاف ذلك ، حيث إن القرآن استعمل كلاً على حِدة ؛ لذا كان لزاماً أن يقف معها البحث موضّحاً مدى هذا التداخل ، ولن يستطرد في أقوال اللغويين بل يقف-بإذن الله تعالى- على أهم المعالم والخصائص لكل مصطلح منها كما يلي:-

١- الاستنباط(٢) .

الاستنباط :هو الاستخراج ، مأخوذ من "نَبَط" ومعناه استخراج الخفيّ ، يقال : نَبَطَ الشيء نَبطاً ونُبُوطاً ظهر بعد خفائه ، واسْتنبط الفقيه : إذا استخرج الفِقه الباطن باجتهاده وفَهْمه، وقال الله تعالى﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ **[النساء:٨٣]** أي : يستخرجونه ، وأصله من النَّبَط ، وهو الماء الذي يخرج من البئر أوّلَ ما تُحفر (٣).

وفي ضوء ماسبق يتبين أن الاستنباط يعني :استخراج المعاني الخفية التي تدِقّ على الأفهام من النصوص، بعد جهد وتأمُّل ، **هذا وإني أوجز العلاقة بين "الاستنباط"و "التدبر" فأقول :**

الاستنباط أخصّ من التَدبّر ، وأدقّ منه ، وأصل له .

---

(١) يراجع: شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الاستراباذي(٦٨٦ هـ)١/١٠٢،ط دار العلمية . بيروت،الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني(٣٩٢ هـ) ٣/٢٦٤،تح أ/محمد علي النجار،ط عالم الكتب- بيروت،ومفهوم التدبر عند اللغويين د/عويض العطوي ص٣٠،ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب (مفهوم التدبر – تحرير وتأصيل).

(٢) لم يرد الاستنباط في القرآن إلا في موضع واحد وبصيغة المضارع "**لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ** "في الآية رقم(٨٣)من سورة النساء.

(٣) مقاييس اللغة٥/٣٨١ ،وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ) ١٣/٢٥٠،تح أ/ محمد عوض ،ط إحياء التراث-بيروت ٢٠٠١م، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري (٣١١هـ)٢/٨٣،تح د/عبد الجليل شلبي،ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨م ،و المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢ /٨٩٧ تح أ/إبراهيم مصطفى وآخرين،ط دار الدعوة بالقاهرة ،مادة "دبر".

فأما كونه أخصّ فلأنه خاص بالعلماء والمتخصّصين ، بخلاف التدبر فهو عام بدليل مخاطبة الكفار والمنافقين وعموم المؤمنين به في آي القرآن (١).

وأما كونه أدقّ فلأنه يحتاج إلى جهد أكثر ، وتكلّف ومعاناة فكرية أعظم ؛ وذلك بناء على اشتقاقه واشتماله على الألف والسين والتاء الدالات على ذلك(٢)، بخلاف التدبّر .

وأما كونه أصلا فلأنه متقدّم على التدبّر وسابق عليه ، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبّره، والوقوف على معانيه ومراميه، فأفهام الناس متباينة ومتفاوتة .

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) : " والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حُكماً أو حُكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته .. وأخصّ من هذا وألطف ضمّه إلى نص آخر متعلّق به فيُفْهِم من اقترانه به قدراً زائداً على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب مِن فَهْم القرآن لا يَتنبّه له إلا النادر من أهل العلم.. " (٣)نسأل الله –تعالى– أن نكون منهم أجمعين .

٢- التفسير (٤):

التفسير مأخوذ من (الفَسْر) ويعني : البيان وكشْفُ ما غُطِّي، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكسر،ويَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفسَّرَهُ: أَبانه، والتَّشْديد أَعَمُّ ، وبه جاء القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا (٣٣)﴾ **[الفرقان:٣٣]** أي: بياناً وتفصيلاً (٥) .

---

(١)فخطاب المنافقين في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٨١)﴾ **[النســـاء:٨١]**، وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ (٢٤)﴾ **[محمد: ٢٤]**،ومخاطبة المشركين والإنكار عليهم بترك التدبر في قوله تعالى :﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهۡجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٦٨) أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٠)﴾ **[المؤمنون:٦٦–٧٠]** ، وخطاب عموم المؤمنين في قوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٢٩)﴾ **[ص:٢٩]**، والله أعلم .

(٢) يراجع: التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات "التأويل والاستنباط والفهم والتفسير"أ.د/عبدالله سرحان ص٢٠٥من إصدارات مركز"تدبر"بالرياض١٤٣١هـ.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر(٧٥١هـ) ٣٥٤/١ ، تح أ/طه سعد،ط دار الجيل – بيروت١٩٧٣م، وتحرير مفهوم التدبر د/فهد الوهبي ص١٠٢ بتصرف.

(٤) لم يرد لفظ"التفسير" أو أحد مشتقاته في القرآن إلا في موضع واحد، من سورة"الفرقان" الآية/٣٣ وستأتي.

(٥) يراجع :تهذيب اللغة ٢٨٣/١٢، ولسان العرب ٥٥/٥، وتاج العروس ٣٢٤/١٣ "فسر"،وجامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ٢٦٧/١٩.

وعلى هذا فالمادة تدور في اللغة حول معنى "**التوضيح والبيان**" ، هذا ويُعرَّف التفسير في أبسط تعاريفه بأنه: " علم يُعرف به فهْم كتاب الله المنزّل على نبيه محمدﷺوبيان معانيه واستخراج أحكامهوحِكَمه" (١).

وفي ضوء ذلك يمكن أن يبرز البحث العلاقة بين التدبر والتفسير فيما يلي :

الأول: التفسير أصل للتدبر وسابق عليه ، فلا يحصل التدبر من غير معرفة المعنى، فهما متلازمان، حيث إن التفسير كشف للمعنى ، والتدبر تأمل في أدبار الآيات وعواقبها ، وعليه فالتفسير وسيلة، والتدبر غاية.

الثاني : دائرة التدبر أوسع من دائرة التفسير ؛ حيث إن العلماء اشترطوا للمفسِّر شروطاً وعلوماً لابد أن يحصِّلها(٢)حتى لا يُتقوّل على الله –تعالى- بغير علم ، أما التدبّر فخوطب به الجميع ، كلٌ حسب طاقته ، لكن ينبغي أن ينضبط بالضوابط ليكون في أعلى درجات الصحة والقبول ، وبناءً على هذا يكون التدبّر أعم من التفسير.

الثالث : لم يرد لفظ "التفسير" في القرآن إلا في موطن واحد- وهوالمذكور آنفاً- بصيغة التمييز المسبوق بـ"أفعل التفضيل ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ ، وذلك بخلاف "التدبر " فإنه ورد -كما هو معلوم – أربع مرات وبصيغة الفعل المسبوق بالاستفهام الإنكاري لترْك التدبر في ثلاث آيات ، وبالأمر الصريح في الآية الرابعة ، وهذا للدلالة على أن التدبر صار كأنه فرض واجب على المخاطبين ، بخلاف التفسير فإن ليس كذلك ،

وهذا مما حدا ببعض العلماء أن يصرِّح بوجوب "التدبر" فقال معلقاً على آية التدبر في سورة النساء ودلت هذه الآية وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ **[محمد: ٢٤]**، على وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه.."(٣).

الرابع:أن المقصودالأصلي للتفسيرهو بيان معاني كلام الله -تعالى- ،ومقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار(٤).

الخامس:التفسير بيان كلام الله – تعالى - ، والتدبر بيان النفس عما مسّها من كلام الله – تعالى – وما أثار من كوامنها، وما تختاره بعد ذلك من التأثر والانقياد،(١) والله أعلم .

---

(١) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)١٣/١تح أ/محمد أبو الفضل، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.

(٢) للوقوف على هذه العلوم يراجع: البرهان الزركشي٢/ ١٦٨ ، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ٢١٣/٤تح أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م، وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيوطي ذكر ستة وأربعين علماً ينبغي للمفسر أن يحصّلها ويتقنها .

(٣) يراجع : الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن فرح القرطبي (٦٧١ هـ)٢٩٠/٥، تح أ/سمير البخاري ،ط عالم الكتب بالرياض٢٠٠٣ م، والتدبر حقيقته د/سرحان ص ٢١٣ بتصرف.

(٤)التدبر عند المفسرين د/ فهد الوهبي ص١١١.

٣- التأويل(٢) :

التأويل: مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع ، يقال : آل الشيءُ يَؤُول أَوْلاً ومآلاً رَجَع، وأَوَّل إليه الشيءَ رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء ارتددت عنه ، ويقال أيضاً: وتَأَوَّله فَسَّره، وقوله عز وجل ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ **[يونس:٣٩]**، أَي لم يكن معهم علم تأْويله، أي تفسيره (٣) .

ومن خلال ماسبق يتبين أن التأويل يأتي في اللغة على معنيين، **أولهما**: الرجوع إلى المآل والمصير ، **وثانيهما**: التفسير ، والتأويل بمعناه الأول يلتقي مع التدبّر، حيث إنهما يجتمعان في دلالة المآل والعاقبة والمصير، ولا يبعد في استعماله الاصطلاحي عن ذلك كثيراً .

ويفترق التأويل عن التدبّر من عدّة أوجه كما يلي:-

الأول: أن التدبّر أعمّ من التأويل ؛ وذلك لأن التدبر يتعلّق بجميع القرآن الكريم محكمه ومتشابهه ، وأما التأويل فيتعلق في القرآن بأمرين :-

أ: المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله –تعالى- ، مثل الغيبيات، وحقيقة البعث، والجنة والنار..وغيرها.

ب: المتشابهات التي تحتمل أكثر من دلالة ؛ لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معاً ، وهذا هو محل النظر دون الأول، كما أن المخاطبين بالتدبر جميع الطوائف من مؤمنين وكافرين ومنافقين ، بخلاف التأويل فالمعنيّون به طائفة مخصوصة من العلماء الراسخين ومن كان في حكمهم، على نحو ما ورد في آية آل عمران(٤).

الثاني : الذي يعلم الـمُؤوَّل على الحقيقة هو الله -تعالى وحده- ، فهو مختص بتأويل المتشابهات من الأمور الغيبية كالروح والقيامة والجنة والنار ...ونحوها.

أما نطاق التدبر فأوسع لمخاطبة الجميع به–كما مر- وعليه فالمتدبِّرون أكثر من المتأوِّلين .

الثالث : التأويل قسمان :مذموم ومحمود ،فالمذموم هو الذي يتتبع صاحبه الآيات المتشابهة ، ويفسّرها على هواه، وهذا لا يقع إلا من الذين في قلوبهم زيغ .

---

(١)تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها د/نايف الزهراني ص٦، بحث منشور ضمن بحوث الملتقى الثاني للتدبر بالرياض١٤٣١هـ.

(٢) ورد "التأويل " في القرآن بثلاث صيغ مختلفة (١٧) سبع عشرة مرة، وهذا يدل على ثراء المادة قرآنياً (يراجع:المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ/ محمد فؤاد عبدالباقي ص٩٧ "أول" ط دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٤٥م).

(٣) لسان العرب ١١/٣٢ "أَول".

(٤) وهي قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ **آل عمران:٧]** .

والمحمود الذي يُعنى أصحابه – وهم الراسخون– بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معاً ، فيتبعونه بغرض فهمه وتفسيره ، وبيان الحكمة من وروده...بخلاف الزائغين .

وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتدبر ، فمن لا يتدبر الآية بقلبه فلن يفهم المراد منها ، ولن يستطيع ردّ المتشابه إلى المحكم(١)، والله أعلم .

٤- التفكُّر (٢):

التَّفَكُّر: التأمّل، يقال : فَكَرَ في الأمر فِكْراً أي أعمل العقل فيه، ورتّب بعض ما يُعلم ليصل به إلى مجهول. والاسم الفِكْرُ و الفِكْرةُ ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح وبابه نَصَر، ورجل فِكّيرٌ بوزن سكيت كثير التفكُّر، وفكَّر في الأمر مبالغة،وهو أشيع في الاستعمال من فَكَر، وفكّر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها(٣).

ومما سبق يتبين أن التفكّر **يعني**: إعمال العقل وتأمّله في أمرٍ ما ليُتوصل به إلى نتيجة ما ، أو حل لمشكلة معينة ، **أو هو**:" جَوَلان القوّة المُطرِقة للعلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل، **وقيل**: فَرْك معاني الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"(٤).

هذا وإني أوجز العلاقة بين التدبّر والتفكّر في الأوجه التالية:–

الأول : أن التفكّر أعمّ من التدبر ؛ وذلك لأن متعلَّقه أوسع وأشمل من متعلَّق التدبر ، حيث يكون التفكر في الآيات التنزيلية والكونية والأنفسية ،فالتنزيلية مثل قوله تعالي : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ (١٩٤) فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ

---

(١) التدبر د/عبدالله سرحان ص٢٠٠بتصرف .

(٢) ورد "التفكّر"بصيغ مختلفة في ثمانية عشر موضعاً من كتاب الله تعالى (المعجم المفهرس ٥٢٥"ف ك ر").

(٣) يراجع: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي(بعد ٦٦٦ هـ)٥١٧، تح أ/ محمود خاطر،ط مكتبة لبنان– بيروت١٤١٥هـ، ولسان العرب٥/٦٥ ، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة ٢/٦٩٨"فكر" .

(٤) المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ) ص٦٤٣بتصرف "فكر"، تح أ/صفوان عدنان، ط دار العلم– دمشق ١٤١٢هـ.

وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ **[آل عمران: ١٩١-١٩٥]** ، والأنفسية مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **[الروم: ٢١]** .

أما التدبّر فمتعلَّقه في المقام الأول الآيات التنزيلية دون غيرها.

الثاني : يغلب على آيات التفكر مخاطبة أقوام بأعيانهم وهم المتفكِّرون خاصة ، حيث تكرّرت جملة "لقوم يتفكرون" في ثمانية مواطن من آيات التفكر ، فضلاً عن أربعة أخرى بصيغة الخطاب من مجموع ثمانية عشر موضعاً في القرآن.. وهذا يدل على أن التفكر يخاطب به فئة مخصوصة غالباً ، وهذا بخلاف التدبر فهو عام خوطب به الجميع كما مر.

الثالث: مما يُفرّق به بينهما أن التفكُّر " تصَرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصَرُّفه بالنظر في العواقب "(١).

الرابع : التدبر يتجاوز الحاضر إلى المستقبل ؛ لأنه يعني النظر العقليَّ إلى عواقب الأمور ، والتفكُّر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقليَّة عن طريق الدليل(٢) ، والله أعلم.

٥- التأمُّل(٣) :

التَّأَمُّل : هو التَّثَبُّت، يقال: تأَمَّلت الشيءَ، أَي: نظرت إِليه مُستثْبِتاً له، ويقال: تَأَمّل الرجل، أي: تَثَبَّت في الأَمر وتحقَّق منه(٤).

وعليه فالتأمّل يعني: تدقيق النظر في الأمور بغرض التثبّت والتحقق، أو الاتعاظ والتذكّر.

وأوجز العلاقة بين التدبّر والتأمّل في أمور ثلاثة :-

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للشيخ/ محمد عبد الرؤوف المناوي ص ١٦٧ بتصرف،تح د/ محمد رضوان، ط دار الفكر-بيروت١٤١٠هـ، والتعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني(٨١٦ هـ) ص٧٦ تح أ/إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب العربي-بيروت ١٤٠٥هـ .

(٢)الفرق بين التأمل والتدبر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف ، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، ورابطه : (**http://www.bestlifeco.net/index.php?option=com_content&view=article&id=**).

(٣) لم ترد صيغة"التأمُّل" في القرآن الكريم، ولا مشتقاتها إلا لفظتي"الأمل" ووردت في موضع واحد من سورة الحجر/٣، ولفظة"أملاً" ووردت أيضاً في موضع واحد من سورة الكهف/٤٦.

(٤) لسان العرب ١١/٢٧ "أمل" بتصرف.

الأول: التأمّل أعم من التدبر، حيث عرّف ابن القيم-رحمه الله- التأمّل بقوله : " هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقُّله"(١) فجعله جامعاً للوقوف على المعاني، ثم تحديق النظر فيها، ثم جَمْع الفكر على تدبرها وتعقلها، بخلاف التدبر فهو الفكر الواصل إلى أواخر دلالات الكلام وأدبارها.

الثاني: أن التدبر من عمل القلب وحده، ولا يُشترط فيه الديمومة والاستمرار، بخلاف التأمّل فهو يحتاج إلى طول وقت وتأنٍ وتثبّت في الأمور، ورُوعي فيه إدامة النظر، ومن ثمَّ فلا تكون النظرة الواحدة تأمّلاً.

الثالث: أن التأمّل قد يحدث بالبصر وحده، أو بالبصر يعقبه التفكّر، أما التدبّر فالبصيرة وحدها يكون بها حيث إنه من أعمال القلب (٢)، والله أعلم .

٦- التعقُّل(٣):

العَقْلُ: هو الحِجْر والنُّهى، ضدُّ الحُمْق، وأصل العَقْل : الإمساك والاستمساك، ومنه عَقَلَ لسانه أي: كفّه، والرَجُل العاقل: هو الجامع لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ من عَقَلْت البَعير، إِذا جَمَعْت قوائمه، وقيل: العاقلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها.

والتعقُّل:هو التَّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقل عَقلاً ؛ لأَنه يَعْقِل صاحبه عن التَّوَرُّط في المهالِك أَي يحبسه

أو هو: القوّة المتهيّئة لقبول العلم ، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ (٤).

هذا ويمكن إبراز العلاقة بين التدبر والتعقُّل في أمرين :-

أولهما: أن التعقل قائم في أصله اللغوي علي المنع، ففيه معنى يقضي بإدراك المعاني التي تَعْقل الإنسان وتمنعه من المخالفة(٥)، وهذا بخلاف التدبر فهو- كما مر- تعقُّب للوصول إلى أدبار المعنى .

ثانيهما: التدبر أعمّ من التعقّل؛ حيث إن الأول عام خوطب به الجميع-كما سبق- والثاني تَخَصَّص في كثير من الآيات بقوم مخصوصين، حيث ترددت جملة"لقوم يعقلون" كثيراً، وأيضاً نلمح هذه الخصوصية في قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾** ﴾ **[العنكبوت:٤٣]**،والله أعلم.

٧- التفهُّم(٦) :

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام /محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ٤٥١/١ بتصرف ، تح الشيخ/ محمد حامد الفقي،ط دار الكتاب العربي - بيروت١٣٩٣هـ .

(٢)الفرق بين التأمل والتدبر والتفكر أ/ خالد الديهان بتصرف.

(٣) وردت مشتقات "التعقل" في القرآن(٤٩) تسعاً وأربعين مرة، أما كلمة بذاتها فلم ترد(المعجم المفهرس٤٦٨"عقل").

(٤)يراجع: لسان العرب ٤٥٨/١١، ومفردات الراغب ص٥٧٧"عقل".

(٥) نحو عودة صادقة للقرآن د/ ناصر العمر ص٥٨،ط دار الحضارة للنشر بالرياض١٤٣١هـ.

(٦) لم ترد مادة "فهم" إلا بصيغة الماضي المضعّف في موطن واحد هو قوله تعالى﴿ **فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾** ﴾ **[الأنبياء:٧٩]** .

التفهُّم أو الفَهْمُ :هو هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، أو هو معرفة المعْنَى من اللفظ بالقلب، يقال: فَهِمْتُ الشيء فَهْماً أي علمته، وفلانٌ فَهِمٌ، وقد اسْتَفْهَمَني الشيء فأفْهَمْتُهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهيماً، وتَفَهَّمَ الكلامَ، إذا فَهِمَهُ شيئاً بعد شيء ، وقوله :﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ **[الأنبياء:٧٩]** إمّا بأن جَعَل اللّه له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في رُوعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به(١).

وعليه **فالمراد بالفَهْم** : هيئة حاصلة للإنسان يدرك بها معاني الألفاظ وحقائق الأمور.

هذا ويوجز البحث العلاقة بين الفهْم والتدبر في الأوجه التالية :-

الأول : الفَهْم أصل للتدبّر ومقدَّم عليه ، فلا يُتصوّر تدبر كلام من دون فهمه والوقوف على معانيه ، فهو من هذه الجهة كالتفسير سواء بسواء.

الثاني : التدبّر أعمّ وأعمق من الفهم ، فأما **كونه أعم** فلأن التدبر يشمل الفهم والتدبر معاً فلا يُعقل تدبر من غير تفهُّم-كما مر- ،وأما **كونه أعمق** فلأنه غوْص عن الحِكَم والأسرار وما وراء النصوص ..ونحو ذلك ، بخلاف الفهم فيُكتفى فيه بالوقوف على المعاني الظاهرة دون تطلّب لما سواها .

الثالث : يُفرّق بينهما أن "الفَهْم" لم يرد في القرآن إلا بصيغة وحيدة فريدة ، بخلاف التدبر فإنه ورد أكثر من مرة-كما سبق- مما يدل على أهميته والتأكيد على طلبه والحضّ عليه(2) .

الرابع : صيغة المضعّف التي ورد بها مصطلح "الفهم" في القرآن للدلالة على التكثير ، أما صيغة "التدبر" فهي للدلالة على التتبُّع والتدرُّج والتعقّب للوصول إلى أدبار المعاني(3)، والله أعلم .

وبعد.. فإن هذه المصطلحات السابقة تُعدّ بمثابة درجات في فهم القرآن والتعامل معه ، ولابد أن نفهم أن الناس درجات ومستويات في التدبُّر والاستنباط والتفسير والتأويل والتفكّر والتأمّل والتعقُّل والتذكُّر والتفهم ، ولن يُحرم أحدنا إحدى هذه الدرجات — بإذن الله – مع كلامه تعالى ، بل لا عُذر له ألبتة في تركها أو أيٍ منها ، كما أنه من الواضح البيّن عدم ترادف هذه الألفاظ، وأن لكل منها معنى خاصاً به يميزه عن غيره، ولا أدل على ذلك من استعمال القرآن الكريم ما استعمله منها على حدة في سياق مستقل، وإلا لعَبّر عن الجميع بلفظ واحد ، والله أعلم .

المطلب الثالث : حديث القرآن عن التدبر وأهميته .

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣ هـ) ٢٠٠٥/٥أحمد عبد الغفور،ط دار العلم للملايين – بيروت١٤٠٧هـ ، ومفردات الراغب ٦٤٦ ،وتاج العروس٢٢٤/٣٣ ،والمعجم المؤصل د/جبل ١٧٢٠/٣"فكر".

(٢) التدبّر د/عبدالله سرحان ص٢١٠ بتصرف .

(٣) المصدر نفسه ص٢١٠ بتصرف .

أورد القرآن حديثه عن التدبر– كما مر– في أربعة مواضع فقط ، موضعان لخطاب المنافقين في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) ﴾ **[النساء:٨١]**، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ **[محمد: ٢٤]**، وموضع لمخاطبة المشركين في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) ﴾ **[المؤمنون:٦٨]** ، والرابع لخطاب عموم المؤمنين في قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ **[ص:٢٩]**.

ومن ثمّ سيتناول البحث الحديث عن هذه الآيات في ثلاث وقفات، ويبدأ بما بدأ الله –تعالى– به في الترتيب المصحفي، من البدء بالحديث عن المنافقين في آيتَيْهما ، والثانية مع آية خطاب المشركين، والأخيرة مع آية خطاب المؤمنين ، مع إبراز أهم معالم الآيات إجمالاً، وبيان أسرار تعبيراتها البلاغية، فأقول وبالله التوفيق :-

الوقفة الأولى : آيتا خطاب المنافقين، وأسرارها البلاغية.

كلتا الآيتين وردتا في سياق الحديث عن المنافقين ؛ حيث إن سياق آية النساء ولحاقها في الحديث عن المنافقين، وكشْف جرائمهم في الصدّ عن سبيل الله، ومحاربة رسوله ﷺ ومن معه من المؤمنين ، فلا جَرَم هنا أن لفَت الله –تعالى– أنظارهم نحو القرآن ليتدبروه علّهم يهتدون بهداه، ويستضيئون بأنواره، كما أن آية سورة"القتال" هي الأخرى كذلك سباقها ولحاقها في فضْح المنافقين، وبيان كراهيتم للقتال، وتقطيعهم للأرحام، ووصْفهم بالصمم والعمى، فلا عجب أن نبّههم هنا إلى النظر في القرآن متدبرين متأمّلين، علّهم أن تُشفى صدورهم من هذا الداء الوبيل، داء النفاق الخطير...

هذا والملاحظ على الآيتين من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:-

أ- التعبير بالاستفهام الإنكاري في قوله "**أفلا يتدبرون**.." لتوبيخهم على عدم التدبر، والتعجّب من حالهم في استمرارهم على النفاق مع توفّر أسباب الهداية، وفي ذلك يقول ابن عاشور : " الاستفهام إنكاري للتوبيخ، والتعجيب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبّر لديهم" (١).

ب- مجيء التدبر هنا على صيغة "التفعُّل" للدلالة على التدرُّج والتَتَبُّع، وكون التدبر مرة بعد مرة مع تكثيره وتعدّده، وفي ذلك يقول ابن القيم (٧٥١هـ) : " تدبّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعُّل كالتجرّع والتفهُّم والتبَيُّن" (٢).

ج- التعبير بالألوهية دون الربوبية في قوله تعالى : "**ولو كان من عند غير الله**" أوفق بالمقام الذي يقتضي الرهبة والمهابة والخوف، دون الربوبية التي تقتضي الإحسان والإنعام والتفضل..وليس هذا محله .

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ/محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)١٩٩/٤،ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت١٤٢٠هـ.

(٢)مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية(٧٥١هـ)١٨٣/١،ط العلمية–بيروت.

د- أوثر التعبير بالفعل "**وجدوا**" دون غيره ؛ لأن في دلالته إشارة إلى أن هذا القرآن لو كان من عند غير الله لعثروا فيه بيسر وسهولة على تناقض واختلاف ، لكونهم أرباب البلاغة والبيان، فلو كان من غير الله – تعالى- لاتضح عند المتدبرين ومِنْ دون عناء ما فيه من اختلاف، فجاء الفعل"**وَجَدَ**" في مكانه تماماً(١) .

هـ- التنكير في كلمة"**اختلافاً**" للعموم، ونَفْي جميع أنواع الاختلاف الفاسد عنه، **والمعنى**: أنه لا يوجد فيه أدنى نوع من أنواع الاختلاف المعلومة، بل هو على نَسَق واحد من البلاغة والبيان (٢).

و- التقييد بالكثير في قوله"**اختلافاً كثيراً**" للمبالغة في النفي والملازمة أي : لو كان من عند غير الله للزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن القليل، لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف لا كثير ولاقليل(٣).

ز- التعبير بـ"**على**" التي للاستعلاء في قوله"**أم على قلوب** " للدلالة علي استيلاء الأقفال على القلوب واستحواذها عليها، وتمكُّنها منها تمكُّناً لا محيص عنه ولا مناص.

ح- أوثر التعبير بـ"**قلوب**" في قوله" **أم على قلوب أقفالها**" بدلاً من أفئدة وما شابهها للدلالة على التقلُّب والتحوُّل، فما سُمِّي القلب قلْباً إلا لتقلُّبه وتحوُّله، ولأن التعبير بالأفئدة يحمل معنى الرقة واللين، وهذا غير مراد هنا، بل المراد عكسه(٤) .

ط- تنكير القلوب يفيد تهويل حالها، وتفظيع شأنها بإبهام أمرها في القساوة والجهالة، كأنه قيل: على قلوب مُنَكَّرة لا يُعرف حالها، ولا يُقادر قدرها في القساوة(٥) .

وقيل: للدلالة على التعميم بإرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة، ولو قال: أم على القلوب أقفالها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة(٦) .

ي- في تعريف كلمة "**أقفالها**" بالإضافة إلى الضمير نوع تأكيد فإنه لو قال : "أقفال" نكرة لذهب الوهم إلى ما يُعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب عُلِم أن المراد بها: ما هو للقلب بمنزلة القُفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها (٧).

ك- جمع الأقفال للدلالة على تعدُّدها وتنوُّعها، كالمعاصي والشهوات والذنوب والتعلّق بالدنيا... ونحو ذلك، وعلى هذا فليحذر المتدبر أن يكون عنده شيء منها، وإلا حُرم الخير الكثير من التدبر، والله أعلم.

الوقفة الثانية : آية خطاب المشركين، وبعض أسرارها البلاغية.

---

(١) التدبر أ.د/ عبدالله سرحان ص ٢٥ بتصرف.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨ بتصرف.

(٣) تفسير السراج المنير لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني ٣٦٧/١ بتصرف ،ط العلمية . بيروت.

(٤) تهذيب اللغة ١٤٣/٩، والتدبر د/ سرحان ص٣٤، ٣٥ بتصرف.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢هـ) ١٥٩/٦ بتصرف.

(٦) تفسير القرآن الكريم . للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية(٧٥١هـ) ص٤٧٧ بتصرف،ط دار الهلال بيروت ١٤١٠هـ.

(٧) المصدر نفسه ص ٤٧٧ بتصرف.

والمقصود بها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **[المؤمنون:٦٨]**، والآية واردة في سياق ذم الكافرين، والنعي عليهم لتركهم الإيمان بالله وآياته، وبيان أن سبب ذلك إنما هو الاستكبار، فلما ذكر ذلك ناسب هنا أن ينكر عليهم تركهم التدبر في الآيات علّهم يهتدون ويؤمنون .

والمعنى: أفلم يتدبر المشركون كلام الله –تعالى– ، فيعرفوا ما فيه من العظات والعبر، والحجج والبراهين التي أقامها الله تعالى عليهم فيؤمنوا ويهتدوا ؟!! أم جاءهم وفاجأهم أمر عجب لم يكن به سابق معرفة فلذلك لا يؤمنون ؟ والحال أن الرسل مِنْ قبلهم قد أُرسلت، والكتب قد أُنزلت، فعلام الجحود والنكران إذاً ؟!

هذا والملاحظ على الآية من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:–

أ– التعبيربالاستفهام في قوله تعالى"**أفلم**.."والغرض منه:الدلالة على " إنكار الواقع واستقباحه"(١)، وتوبيخهم والتعجيب مِن حالهم في ترْك الإيمان مع وضوح الدلائل والبراهين.

ب– التعبير بأداة النفي"**لم**" الدالة على نفي الماضي دون الحاضر والمستقبل، دون "لا" الدالة على النفي في المستقبل، وهذا للدلالة على نفي تدبّرهم في الماضي، وحضّهم عليه حالة نزول الآية ومستقبلاً، وفيه إشارة إلى أن أهل مكة منهم مَنْ سيُؤمن مستقبلاً، ويتدبر كلام الله –تعالى–(٢) ، والله أعلم .

ج– التعبير بالإدغام في"**يدّبروا**" وأصله "يتدبروا" فأُدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما، وسر ذلك: الإشارة بأن على المشركين " أن ينظروا في أدباره وعواقبه ولو لم يبلغوا في نظرهم الغاية بما أشار إليه الإدغام ؛ ليعلموا أنه موجب للإقبال والوصال ، والوصف بأحسن المقال"(٣).

د– التعبير بقوله "**أفلم يدبروا**"وهو تعبير خاطف سريع ، ذو نبرة شديدة ؛ لأنه خطاب لكفار قريش فيكفيهم هنا أدنى تدبر للوصول للحق ، حيث إنهم المشهورون باللَّسَن والبلاغة، وسرعة الفهم والبديهة ، وذلك بخلاف التعبير بقوله : "**أفلا يتدبرون القرآن**" ؛ لأنه حديث مع المنافقين، وفيه حثٌّ لهم على التدبّر والتأمُّل فيه بروّية وطمأنينة(٤).

هـ– التعبير عن القرآن بالقول في قوله : "**أفلم يدبروا القول**" لعدة أمور:–

١– سُمى القرآن هنا قولاً لأنهم خوطبوا به، فأنكروه وأعرضوا عنه(٥).

٢– وقيل: للإشارة إلى أن مَنْ لم يتقبله ليس بأهل لفهم شيء من القول، بل هو في عداد البهائم(٦).

---

(١) أبو السعود ١١/٥ ، وروح المعاني ٢٥١/٩.

(٢) التدبر د/ سرحان ص٤٢ بتصرف.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(٨٨٥ هـ)٢١٢/٥، تح/عبد الرزاق المهدي،ط العلمية ببيروت ١٤١٥هـ.

(٤)التدبر د/ سرحان ص٤٤بتصرف.

(٥) تفسير القرطبي ١٣٩/١٢بتصرف.

(٦)نظم الدرر ٢١٢/٥بتصرف.

٣- وقيل: للإشارة إلى أنهم كانوا يجعلونه في منزلة بقية الأقوال التي يستمعون إليها من البشر، فلا يلتفتون لمعانيه ، ولا يتأمّلون في أساليبه ومراميه .

٤- وقيل : للإشارة أنهم أمة القول بمختلف فنونه وألوانه:شعراً ونثراً ومثلاً وحكمة، فكيف لم يتدبروا هذا الذي بلغ الذروة في البلاغة والبيان ؟!! (١).

ولا مانع من الجمع بين أقوال تعليل سر اختيار لفظ"القول" على غيره من المرادفات، حيث إن القرآن قول من جنس أقوالهم، وهم أرباب الفصاحة والبيان يميِّزون بين جيِّد القول ورديئه، ومع ذلك لم يؤمنوا !!

الوقفة الثالثة : آية خطاب المؤمنين، وبعض أسرارها البلاغية.

وهذا الخطاب وارد في قوله تعالى﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ **[ص:٣٠]**، على قراءة من قرأ " لتدبروا" بتاء الخطاب(٢)، والمخاطَب بها النبي ﷺ ومن معه من المسلمين(٣).

ووجه مناسبته لما سبقه يظهر لي في: أنه تعالى لما لفَت الأنظار إلى بعض الآيات الكونية في قوله﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ ﴾ **[ص:٢٧]**، ناسب هنا أن يلفت الأنظار إلى الآيات التنزيلية ؛ للإشارة إلى أن كلاً منها يدل على عظمة البارى -سبحانه وتعالى- ، وأن كتابه هو الحق المبين الذي ينبغي أن تتجه إليه القلوب، وتعكف عليه الأبصار.

والآية في مجملها تشير إلى ينبغي للناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن يتجهوا إلى هذا الكتاب العظيم تدبراً وتأمّلاً ؛ لينتج عن ذلك التأثر ومن ثمّ التطبيق والانقياد ، وهذا هو المقصود الأعظم لنزول الكتاب ، والله أعلم.

هذا والملاحظ على الآية من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:-

١- التعبير عن القرآن بالكتاب ؛ وذلك لأنه يجمع أنواعا من القصص والآيات والأحكام والأخبار...على أوجه مخصوصة، واختير لفظ"الكتاب" دون غيره للدلالة على أن المؤمنين الموجّه إليهم الخطاب هنا هم المعنيون وحدهم بكتابته ليظل محفوظاً في السطور على مرّ الدهور، كما هو محفوظ في الصدور(٤).

٢- تنكير لفظ "الكتاب" لتعظيم شأن القرآن الكريم، كما أنه مفيد للنوعية، أي أنه كتاب من نوع لا نظير له بين الكتب السماوية أو الوضعية في صفة من الصفات(٥) .

---

(١)التدبر د/ سرحان ص٤٥ بتصرف.

(٢) قوله (ليدبروا) قرأه أبو جعفر بالخطاب مع تخفيف الدال وقرأ الباقون بالغيب والتشديد(يراجع: النشر في القراءات العشر للإمام محمد بن محمد بن علي ابن الجَزَري(٨٣٣ هـ)٤٠١/٢، تح/علي محمد الضباع شيخ المقارئ بالديار المصرية.

(٣) التحرير والتنوير١٤٩/٢٣ بتصرف.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢٧٦/١بتصرف، والتدبر د/ سرحان ص٥٥ بتصرف.

(٥)التحرير والتنوير١٤٨/٢٣ بتصرف، والتدبر د/ سرحان ص٥٦ بتصرف.

٣- التعبير بقوله تعالى : " وما يتذكر إلا أولوا الألباب" فيه تعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، وأن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا ومن قرأه فتذكر به ما كان علمه وتذكر به حقا كان عليه أن يرعاه، والكافرون أعرضوا عن التدبر فلا جرم فاتهم التذكر(١).

وأكتفي بهذا القدْر في التعليق على الآيات الكريمة، ولو ظللت أستقصي لطال بي المقام، واحتجنا إلى مجلدات ضخام، وصدق ربي في وصفه لكلامه بقوله﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ **[لقمان:٢٧]**، ومن خلال هذه الآيات المباركات وقفنا على مدى أهمية التدبر بالنسبة للقرآن، وأنه منه بمنزلة الروح من الجسد، فإن خلت التلاوة من التدبر كانت جسداً لا روح فيه، وعلى هذا فإن القارئ حين يتدبر تسري فيه هذه الروح القرآنية فيحيا قلبه، وتسعد نفسه، وينشرح صدره، ويجد لذة وهناءة لا توصف، وصدق الله —تعالى- حين أشار إلى هذه الروح القرآنية في قوله﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ **[الشورى:٥٢]**.

---

(١)التحرير والتنوير١٤٩/٢٣ بتصرف.

المبحث الثاني: **موانع التدبر وصوارفه** .

تمهيد:

الناظر في دنيا الناس يجد أن بعضاً من الأمور الشخصية ، نفسية أو خُلقية أو عقدية مذهبية أو بيئية اجتماعية تشكل حجاباً حاجزاً بين أصحابها وبين تعاملهم مع كتاب ربهم –سبحانه وتعالى– تدبراً وفهماً ؛ لذا من الأهمية بمكان أن يقف البحث هنا مع هذه الموانع للتعرّف عليها وتفاديها أو التخلص منها ، وتقديمي إياها على منهجية التدبر من باب "التخلية قبل التحلية" وهذا ما سيعرضه البحث فيما يلي:–

المطلب الأول : الموانع الشخصية .

أقصد **بالموانع الشخصية**: الأمور النفسية أو الصفات الخُلقية التي يتّسم بها الشخص ، أو الآراء والمذاهب التي يعتقدها وتؤثر سلباً علي تعامله مع كتاب الله –تعالى– ،وهي عديدة متنوعة ، وأبرزها مايلي :–

١– أمراض القلب والإصرار على المعاصي .

إن من أعظم ما يمنع القارئ عن الانتفاع بمواعظ القرآن وحِكمه وأحكامه أن يكون قلبه مصاباً ببعض الأدواء التي تحجب أنوار القرآن عنه ،فالقلب هو أساس الجوارح كلها ، وصلاحها بصلحه .

ولقد نعى القرآن على قوم عايشوا نزول القرآن ، واستمعوا إليه ممن نزل عليه ﷺ لكنهم ما استفادوا وما انتفعوا ، وفيهم يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ **[محمد:١٦]**.

هذا ومن الأمراض القلبية المانعة من التدبر : الحسد والحقد والنفاق والرياء والعُجب والكِبْر.. ونحوها ، وفى الكِبْر يقول الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ **[الأعراف:١٤٦]** وكذلك تُحجَب أنوار القرآن عن قلْب صاحب البدعة ، والمصرّ على ذنب أو معصية ، أو المتذْهِب بمذهب يتبع فيه هواه أو عقيدة باطلة، أو المُقبِل على القرآن بخلفيات فكرية سابقة..وكلّها حجب كثيفة تتفاوت فيما بينها في منع التدبر والانتفاع بالقرآن .

وفي ذلك يقول صاحب "البرهان": " واعلم أنه لا يحصل للناظر فَهْم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب،أو في قلبه كبر أو هوى ، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقّق الإيمان ، أو ضعيف التحقيق..وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض "(١).

٢– انشغال القلب أو الجوارح بغير المتلوّ.

---

(١) البرهان للزركشي ٢/ ١٨٠ .

من أعظم الصوارف : أن يكون القلب منشغلاً بغير القرآن من التفكير أثناء التلاوة في أمور الدنيا والمال والولد ، أو حلّ مشكلة ما أو قضية من القضايا تشغل بال القارئ ، فتصبح العين والأذن عاملتيْن ، ويصير القلب والذهن شارديْن ، أو أن يكون في مكان ذي ضوضاء، غير مُهيأ للتلاوة فتنشغل الجوراح هي الأخرى ، ومن ثمّ فلا فهْم ولا تدبّر ولا عمل .

يؤكّد لنا هذه المعاني الإمام ابن القيم (٧٥١هـ) معلّقاً على قوله تعالى﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] ،ومقَسِّماً الناس إلى ثلاثة أصناف قائلاً : " والناس ثلاثة : **رجل** قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه، **والثاني** :رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوّة : إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً.. **والثالث**:رجل حيّ القلب مستعد، تُليت عليه الآيات فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهْم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.." (١).

٣- قَصْر حضور القلب على أوقات أو آيات معينة .

من أعظم الخطأ أن يعتقد بعض الناس أنه لا يمكن أن يتدبر المسلم القرآن إلا في أوقات محددة أو أحوال معينة كرمضان، أو القنوت، أو التراويح ، أو عند خشوع الإمام، أو عند ذكر آيات العذاب، أو الجنة والنار وأهوال القيامة... ونحو ذلك ، ثم تكون بقية الأوقات خلوّ من هذه الفوائد والمنافع ، وهذا تحجّرٌ لما هو واسع ، وتحكُّم ليس في محله ، ولعل هذا مدخل من مداخل الشيطان لمن يريد التدبر ليثني عزيمته عنه ؛ لأن التدبر به حياة القلوب والنفع ، وهو ما لا يريده الشيطان للقارئ أبداً .

وحضور القلب في هذه الأوقات طيّب ، لكن الأطيب منه أن يدوم التدبر في كل قراءة وتلاوة لكتاب الله تعالى، في جميع الأوقات والأحوال، حيث إن رسول الله ﷺ (سئل أي العمل أحب إلى الله ؟ قال: أدومه وإن قَلّ) (٢) ، وأحواله ﷺ مع القرآن كانت كلها تدبر وتفكّر ، ولم يُقصِر التدبر على آيات دون آيات ، أو أحوال دون أحوال ، وهو المعلّم الأول فوجب اقتفاء أثره ، واتباع نهجه .

٤ – توهُّم عدم دخول الواقع تحت القرآن، و قَصْره على أحوال انتهت .

من عظيم الصوارف عن التدبر بل عن التلاوة أصلاً توهُّم البعض أن القرآن كان لأناس خلوا ، وظروف وأحوال مضت ، وأن الواقع لا يدخل تحت ما في القرآن من الهدي والإرشاد ؛ ولذا كان هذا حاجباً لكثير من الناس عن إمعان النظر في القرآن والبحث عن هداياته وبيّناته ، وتنزيل آياته على أرض الواقع ، وإيجاد الحلول القرآنية للمشاكل الحياتية المعاصرة وغيرها ، حيث إنه صالح لكل زمان ومكان ، وعصر وآن ،

---

(١) مدارج السالكين ٤٤٢/١ بتصرف.

(٢)**صحيح** : رواه الإمام مسلم في صحيحه ١٨٩/٢ ك (صلاة المسافرين) ب (فضيلة العمل الدائم) ح (١٨٦٤) .

ويكفي أن تعالى وصفه بقوله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ **[الفرقان: ١-٥]** .

وفي ذلك يقول ابن القيم (٧٥١هـ) :" أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته [أي القرآن] وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوْا من قبل ولم يُعْقِبوا وارثاً ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولعمر الله! إن كان أولئك قد خلوْا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناوُل القرآن لهم كتناوُله لأولئك.. " (١)، ولَحَقٌ ما قال ، ولصِدْقٌ ما وصف .

٥- ترْك التدبّر تورعاً عن القول في كلام الله بغير علم.

من أعظم موانع التدبر أيضاً: ظنُّ البعض أن فهْم القرآن وتدبّره قاصر على قوم مضوا من السلف الصالح والعلماء المخلصين، " ويعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عنهم ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي ، ومن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار "(٢)، ويعتقد أنه ليس في الإمكان الآن أحسن مما كان، أو يترك البعض التدبّر والتأمّل في القرآن بحجة التدين والتورّع عن القول في كلام الله بغير علم ، واعتقادهم أن مهمة القارئ تنحصر في القراءة دون التدبّر، فيصرف القارئ همته إلى القراءة فقط ، ولا يُعنَى بالتدبر والوقوف مع الآيات أمراً ونهياً وحلالاً وحراماً ، ويخرج من التلاوة كما دخل .

وفي ذلك يقول الحافظ ابن رجب (٧٩٥هـ) :" من مكايد الشيطان: تنفيره عباد اللّه من تدبر القرآن لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول: هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان: أنا لا أتكلم في القرآن تورعاً"(٣).

وهو بالفعل مدخل عظيم من مداخل الشيطان على بني الإنسان ، فقد يفتح الله -تعالى على- متدبّر بما لم يكن لأحد من العلماء السابقين ، فعِلْم القرآن ليس حِكراً على قوم دون قوم ، وكم سمعنا وقرأنا تدبّرات وتأمّلات أكثر من رائعة لأناس لا علاقة لهم بالتخصص القرآني ، وربما لا يحملون شيئاً من الشهادات إلا

---

(١)مدارج السالكين ٣٤٣/١.

(٢)إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ)٢٨٥/١بتصرف، ط دار المعرفة – بيروت، وكيف نتعامل مع القرآن العظيم د/يوسف القرضاوي ص١٧٦بتصرف،ط دار الشروق بالقاهرة٢٠١١م.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ١٥٦/٢، تح د/ عبد الرحمن العثيمين، ط مكتبة العبيكان – الرياض١٤٢٥ هـ.

شهادة التوحيد وحُبّ مطالعة القرآن وتدّبره(١)، ورُبّ صغير مفضول يفتح الله –تعالى– له بما لم يفتح به لكبير فاضل، وما خَبَر الأُحْجِيّة(٢) عنا ببعيد .

٦- الوقوف عند جمال الصوت ، وانصراف الهمّة إلى تكثير عدد الختمات فقط .

دبّ في أمتنا منذ زمن ليس بالقصير داء خطير يتعلّق بتعاملهم مع كتاب ربهم –سبحانه– ، وهو الوقوف عند جمال صوت القارئ وحسن ترنيماته ، دون التعلق بأدنى شيء من معاني الآيات وفقهها، وكثيراً ما تسمع أحدهم يصيح بأعلى صوته مادّاً إياه بقوله:اللّه اللّه ، طرباً لعذوبة صوت القارئ ، في حين أن القارئ قد يقرأ آيات تتعلق بالنار أو العذاب أو أهوال القيامة ..ونحوها، وغاب عقل الأكثرين تماماً عن المعاني والتدبّر، وما ينبغي أن يكون في مثل هذه المواطن.

وتجد آخرين يُقبِلون على كتاب ربهم قراءة وتلاوة، ويحدو بهم الشوق نحو **الإسراع في التلاوة،** وتكثير عدد الختمات ، وليس لأحدهم هَمّ إلا آخر السورة ولا شيء سواه، دون وقوف مع الفوائد والعوائد ، والاتعاظ بالأوامر والزواجر...

وكلا المسلكيْن على غير صواب ؛ حيث إن ذلك يخالف المقصود الأسمى لنزول القرآن ، ويخالف كذلك منهج النبي ﷺ والسلف الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم.

نعم حضّ النبي ﷺ على تحسين الصوت عند تلاوة القرآن(٣)، لكن ليس مع التطريب والتغنّي المتكلّف والمخرجِ عن حدّ الخشوع والوقوف مع الآيات تدبراً وفقهاً .

وكان السلف يقفون مع الآيات ويكررونها مرات ومرات ، وربما أمضى أحدهم ليلة كاملة مع آية واحدة، فهذا تميم الداري رضي الله عنه يقوم بآية يردّدها حتى أصبح ، وهي قوله تعالى ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ **[الجاثية:٢١]** ،

---

(١) ولا أدل على ذلك من جمع أمثال هذه التأملات لمتخصصين وغيرهم وطبعها في مجموعات متتابعة ثم نشرها بين عموم المسلمين لينتفعوا بها ، وقد وفّق الله تعالى القائمين على مركز"تدبّر للدراسات والاستشارات" بالرياض بتجميع هذه التدبّرات وطباعتها وتوزيعها ، وقد صدر آخرها "المجموعة الخامسة" في عام ١٤٣٣هـ ولله الحمد والمنة .

(٢) أقصد بالأُحْجيّة:القصة المشهورة التي حدثت لسيدنا ابن عمر رضي الله عنهما وهو في جمع عظيم من الصحابة ، والمشار إليها في الحديث **المتفق عليه** عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (ص) (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال :"هي النخلة") رواه البخاري – واللفظ له – في صحيحه ك(العلم) ب(قول المحدث:حدثنا ..) ح (٦١) يراجع :صحيح البخاري ٢٢/١ ،ومسلم في صحيحه ك (صفة القيامة والجنة والنار) ح(٢٨١١)ب (مثل المؤمن مثل النخلة) يراجع : الصحيح ٤/ ٢١٦٤ .

(٣) وذلك في مثل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله(ص) : ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن"(رواه البخاري في صحيحه ك (التوحيد) ب (قوله تعالى"وأسروا قولكم..") ح (٧٠٨٩) يراجع:الصحيح ٢٧٣٧/٦).

وغيره الكثير (١)،

حتى قال القرطبي عن هذه الآية : " كانت هذه الآية تسمى: مَبْكاة العابدين " (٢).

٧- قصْر الهمّة على تحقيق الحروف والمخارج .

وهذا أيضاً داء ينخر في جسد أمة القرآن منذ فترات ، حيث إنك تجد القارئ تنصرف كلّ همّته ، ويتجّه جُلّ تركيزه أثناء التلاوة على الحروف ومخارجها ، وأحكام التجويد وإتقانها..دون أدنى تعلّق بالمعاني والتدبر.

" فقد يُعاب الإنسان أيّ عيب إذا رَقّق المفخّم، أو فخّم المرقق، أو لحن جليّاً أو خفياً، ولا يُعاب إذا لم يدرك بدهيات قضايا القرآن الكريم أو المعاني الظاهرة المتبادرة ؛ لأن طريقة التعلّم غرست فينا هذا الجانب، ولا يقول أحد بأن جودة الأداء ليست غرضاً ولا هدفاً لكن هناك فرق بين غرض هو مقدمة لغيره ، وغرض هو المقصود الأسمى للقرآن الكريم.." (٣) .

ولْيعلم المسلمون عموماً والقَرَأة خصوصاً أن هذا مدخل من مداخل الشيطان على بني الإنسان فليحذروه، وفي ذلك يقول صاحب "الإحياء" في معرض حديثه عن موانع فهم القرآن، ومنها: " أن يكون الهمّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وُكِّل بالقرّاء ليصرفهم عن فهْم معاني كلام الله ﷻ ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يخيّل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمّله مقصوراً على مخارج الحروف، فأنّى تنكشف له المعاني، وأعظم ضحكة للشيطان ممن كان مطيعا لمثل هذا التلبيس " (٤) .

والسبب في ذلك: عدم الترتيب بين الغاية والوسيلة، فالقراءة التي هي وسيلة الفهم أصبحت هي الغاية والمبتغى وصار مبلغ علمنا - إلا من رحم الله- أن نجوّد الحروف، ونحقّق صفاتها ومخارجها، فكان الاهتمام بالشكل على حساب المضمون(٥).

والعلاج سهل وميسور ، حيث تُراعى أحكام التجويد دون أدنى مساس بالفهم والتدبر والوقوف على المعاني ، والله أعلم .

---

(١) ذُكرت جملة من ذلك في: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ) ص١٤٥،تح/ مروان العطية وآخرين، ط دار ابن كثير- بيروت١٤٢٠هـ، و تفسير القرطبي ١٦/١٦٦، ويراجع : التأثر بالقرآن والعمل به أ.د/بدر بن ناصر البدر ص٦١،ط مدار الوطن بالرياض ١٤٢٨هـ.

(٢) تفسير القرطبي ١٦/١٦٦.

(٣) فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة أ.د/ رمضان خميس زكي ص٦ ،بحث منشور على موقع "الإسلام اليوم" بشبكة المعلومات الدولية ،ورابطه (**http://islamtoday.net/bohooth/services/saveart-86-133922.htm**)

(٤) إحياء علوم الدين ١/٢٨٤بتصرف.

(٥) فهم القرآن بين القواعد الضابطة والمزالق المهلكة أ.د/ رمضان خميس ص٦ بتصرف .

٨- تقديم مادون التدبّر من العلوم والمعارف .

والمقصود من ذلك :أن يتجه البعض إلى حفظ القرآن ، ثم لا يتجه بعده إلى تحصيل علم تفسيره وتدبره والوقوف على معانيه ، بل ينصرف إلى غيره من العلوم التي تكون قليلة النفع ، أو عديمة الجدوى بالنسبة لفهم القرآن وتدبره ، وهذا لا شك صارف عظيم من الصوارف عن التدبر .

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية(٧٢٨هـ) أيهما أفضل طلب القرآن أو العلم ؟

فأجاب : " أما العلم الذي يجب على الإنسان عيناً كعلْم ما أمر الله به وما نهى الله عنه ، فهو مقدّم على حفظ مالا يجب من القرآن ، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب ، والواجب مقدّم على المستحب .

وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدّم على كثير مما تسميه الناس علماً، وهو إما باطل أو قليل النفع، ..والمشروع في حق مثل هذا أن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين..

والمطلوب من القرآن هو فهْم معانيه وتدبره والعمل به ، فإن لم تكن هذه همّة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين ، والله سبحانه أعلم " (١) .

وعلى هذا فينبغي على المسلمين عامة ، وطلاب العلم خاصة أن يتجهوا نحو كتاب ربهم أولاً فيحفظوه ويفهموه ويتدبروه ويطبّقوه..فهو أصل لكل العلوم ، ومفتاح لغيره من الفهوم . وهذا ليس بالمستحيل أو المستصعب ، فالله عزّ وجلّ وَعَد بالتيسير والفتح في مثل قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ **[القمر:١٧]** ، ووعده عزّ وجلّ لا يتخلف أبداً .

المطلب الثاني : الموانع الأُسْرية (٢) والاجتماعية .

من المعلوم أن الأسرة والبيئة التي ينشأ فيها الفرد لها أثر فاعل في تكوين ثقافته والتأثير عليه سلباً وإيجاباً ، فإن كانت البيئة المحيطة مستقيمة دينياً وعقدياً ، ناضجة علمياً وثقافياً ، ومتزنة فكرياً وخُلقياً، أنتجت أفراداً أسوياء ناضجين ،والعكس بالعكس .

" ولا يخفى أن طريقة حفظ القرآن وتعلّمه وتعامل المجتمع معه، تكون ذا أثر فعّال في استجلاء مكنونات النص ، والوقوف على معانيه وأسراره ، وقد تكون مانعة من الوصول إلى ذلك ، صابغة العقل بصبغة

---

(١) يراجع: الفتاوى الكبرى لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ) ٢/٢٣٥بتصرف،تح أ/محمد عطا وآخر، ط العلمية- بيروت ١٤٠٨هـ .

(٢) الأُسْرِيّة :بضم الهمزة وسكون السين نسبة إلى"أُسْرة" ،وهذا بخلاف ما أشيع خطأً من فتح السين"أُسَرِيّة" لأنه من باب النسب ، والنسب لا يكون إلا للمفرد لا الجمع ، وكما يقولون خطأً " هذا مذهب أخلاقيّ" والصواب"خُلُقيّ"،والله أعلم. [يراجع : علل النحو لأبي الحسن محمد بن عبدالله الشهير بابن الورّاق (٣٨١هـ) ص٥٤٦ تح أ/ محمود الدرويش ،ط الرشد بالرياض ١٩٩٩م ...وغيره].

تحجبه عن روح النص ، إما بلَيّ عنقه ، أو بإخراجه عن سياقه، أو بحشو تفيسره بالأباطيل والإسرائيليات .. وغير ذلك مما يجعل تفسير القرآن وتدبره أمراً شاقّاً على العامّة ، خاصّاً بطائفة معينة من العلماء"(١)، ومن هنا تبرز أهمية البيئة ، وبيان دورها في كونها صارفة من صوارف التدبر ، ويتلخّص هذا الدور فيما يلي:

١- عدم اهتمام الأسرة بجانب التدبّر، وإذكائه بين أفرادها.

الأسرة هي المحضن الأول للأفراد، فإن كان رب الأسرة مصلياً ، قارئاً متدبراً ، خلوقاً ملتزماً بآداب الإسلام عقيدةً وسلوكاً، مطبِّقاً ذلك على نفسه وأبنائه وأهله، أنبتت هذه الأسرة نباتاً حسناً ، وكانت في طلائع الأسر المؤمنة.

وإن أهمل قائدها كان ما نراه الآن من البعد الحقيقي عن القرآن وتلاوته، فضلاً عن تفهمه وتدبره وتطبيقه والعمل به ، ومن ثمّ ينبغي للأسرة المسلمة أن تدرك قيمة التدبر، وتعقد مجلساً خاصاً كل أسبوع أو شهر على الأقل لتدبّر القرآن وتدارسه ، وإن تم هذا اللقاء بين رب الأسرة وأفرادها ستجني ثماراً يانعة، كتوطيد العلاقة بكتاب الله – تعالى –، وتأصيل منهج التدبر فيها، وترابط أفرادها، وبُعدها عن التيارات الجارفة، فضلاً عن تحصيل الأجر والمثوبة، وهذا مجرّب بالفعل من كثير من الأُسر، وله الأثر البالغ بإذن الله – تعالى – .

٢- اهتمام المجتمع بحفظ القرآن دون فهم معانيه وتدبّره .

وهذا الأمر يتجلى واضحاً لكل ناظر في طريقة تلقّي القرآن وتعليمه لدى الأشخاص أو المؤسسات التعليمية القرآنية ، فتجد معظمها – إلا من رحم ربك- لا تُعنى بهذا الجانب على الإطلاق ، بل لا نكاد نجد له ذِكْر أو في خططهم أو مناهجهم في مختلف مراحل التلقي الأوّلية أو النهائية ، وجُلّ عنايتهم منصبّ على حفظ النص وتثبيته ، وهذا شيء طيب إلا أنه لا ينبغي الاكتفاء به وحده، بل لابد من ضميمة الفهم والتدبر ؛ حتى يكون للقرآن أثره البالغ على الفرد والمجتمع .

ولمعالجة هذا الموضوع، والتغلّب عليه أقترح أمرين :-

أولهما: الرجوع إلى طريقة السلف-رضوان الله عليهم- في تلقّي القرآن وتعلّمه ، وذلك بحفظ قدر من الآيات ، وعدم مجاوزتها إلى غيرها إلا بعد معرفة معانيها وتدبرها ، والوقوف على ما فيها من العلم والعمل(٢)، وما المانع أن يُطبق هذا المنهج في دور القرآن وحلقاته ، على الأقل مع كبار الناشئة ، بعد دراسة الموضوع ووضْع خطته ، وإعداد المعلمين ، واختيار الطرق المناسبة ، والله الموفّق والمعين .

---

(١)صوارف فهم القرآن وعلاجها أ/سامية حرب ص١١٥بتصرف،رسالة تكميلية للماجستير بالجامعة الأردنية ٢٠٠٨م.

(٢) والخبر في ذلك مشهور ، فعن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا " يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات "، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل(أخرجه أحمد – واللفظ له- في المسند ح"٢٣٤٨٢"وقال محققوه:

ثانيهما: استغلال المرحلة العمرية الأولى للطفل في حفظ الحروف وإتقانها، وبعد ختم القرآن يتم توجيهه إلى المعاني والتدبر، وعدم اعتماد الحفظ إلا مع المعاني ، وإقامة المسابقات التى تُعنى بالجانبين معاً دون أحدهما، مع تنوّع الحوافز المادية والمعنوية المشجّعة على ذلك، وبإذن الله تعالى سنجني الخير الكثير من هذا المنهج.

٣- شيوع العاميّة بين أفراد المجتمع .

من أهم الصوارف عن التدبر اليوم : شيوع العاميّة وغلبتها في التخاطب ، دون الفصحى لغة القرآن، ولعل الخطب يعظم حين تجد بعض المعلّمين في دور العلم ، والأساتذة في الجامعات..يتخاطبون مع طلابهم بالعامية، مما أعظم غربة هذا الجيل عن الفصحى وصعوبة التحدث بها ، مما نتج عنه غرابة كثير من ألفاظ القرآن، ومن ثمّ صعوبة الوقوف على معانيه وتدبرها تلقائياً، بخلاف الجيل الأول الذي لم يحتج إلى شيء من ذلك، ولم تكثر لديه الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى التفسير والشرح.

وعلاج ذلك ميسور، وهو الالتزام بالفصحى -على الأقل- داخل قاعات الدرس والأسرة للتعوّد على لغة القرآن، وسهولة التخاطب بها، مما ييسّر عملية التدبر والوقوف على أسرار القرآن،كتاب العربية الأول.

٤- تقليص المجتمع لدور القرآن الكريم.

الناظر اليوم في حال أمتنا وتعاملها مع القرآن يجد سلوكاً خطأ(١) وأمراً عجباً ، حيث يلحظ أن كثيراً من أفراد المجتمع قلّصوا دور القرآن في التبرّك.. ونحوه من الأغراض قليلة الجدوى ، فجعلوه في بيوتهم وحوانيتهم وسياراتهم لجلب البركة والخيرات ، ودفع الشرور والمضرات، بل علّقوه في رقاب صبيانهم لدفع الأذى عنهم ، وفي بعض رقاب بناتهم لجلْب الخُطّاب والأزواج .. وافتتحوا به مجالسهم وأحفالهم لأجل هذه الأغراض أو ما يقترب منها، بالإضافة إلى " الصورة التي طُبعت في أذهاننا في مراحل الطفولة للقرآن

إسناده حسن.يراجع: المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)٤٤٦/٣٨،تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الرسالة-بيروت١٤٢١ هـ ، وابن أبي شيبة " أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥ هـ)في مصنفه ٤٦٠/١٠ح"٣٠٥٤٩" تح/ محمد عوامة،ط الدار السلفية ...وغيرهما.

(١) درج بعض الباحثين في مثل هذا الموطن أن يذكروا كلمة "**الخاطئ**"بدلاً من"**الخطأ**" وهذا مجانب للصواب ، والصواب (**الخطأ**) لأن الخاطئ هو المتعمّد للخطأ ، يقال : خَطِئ فهو خَاطِئ ، والاسم منه خَطِيئة ، قال تعالى ﴿**وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (٣٧)**﴾ **[الحاقة:٣٦،٣٧]** .
ولا يقال : أخْطَأ فهو مُخْطِئ إلا لمن صنع خَطَأً عن غير عمْد وقصْد[لسان العرب ٦٧/١ "خطئ"]، ومنه قوله تعالى ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٨٦)**﴾ **[البقرة:٢٨٦]** ،والله أعلم .

أنه: لا يُستدعى للحضور إلا في حالات الاحتضار والنزع والوفاة، أو عند زيارة المقابر، أو نلجأ لقراءته عند أصحاب الأمراض المستعصية، وهي قراءات لا تتجاوز الشفاة "(١).

وجُلّ السامعين – إلا من رحم ربي – أبعد ما يكون عن التفكّر في الآيات والوقوف معها ومعرفة معانيها ، ومن ثم تطبيقها وتنفيذها .

وشاع هذا السلوك في التعامل مع القرآن ؛ حتى تكاد الناشئة وجيل اليوم لا يعرفون عن التعامل معه إلا هذا الأسلوب الجزئي القاصر، وإلا فأين الفهم والتدبر ، والعمل والتطبيق ، والاستشفاء .. وغير ذلك من أنواع الهجر التي أشار إليها ابن القيم(٧٥١هـ) (٢)في التعليق على قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ **[الفرقان: ٣٠]** .

والعلاج أيضاً ميسور بإذن الله –تعالى– ، ويتلخّص في حُسن عودة الأمة إلى هذا المنهج الخالد، وإعادة صياغة تعاملها معه ، والبعد عن هذه النظرة الجزئية في التعامل مع القرآن ، والتركيزعلى الفهم والتدبّر والعمل.

٥- الأميّة العقليّة، وشيوع روح التقليد والتبعيّة .

أقصد بالأمية العقلية هنا: سطحية العلم والمعرفة المتعلقة بالقرآن، والاكتفاء بالحفظ وظاهر المعنى ، دون التدبر والتطلع والغوص عما سواها من الكنوز والأسرار.

ولعل هذه العقلية هي التي تغلب على كثير من أفراد مجتمعنا الآن في تعاملهم مع القرآن الكريم، وهذا ما نعاه القرآن على أقوام في تعاملهم مع كتابهم، حيث قال سبحانه﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ **[البقرة:٧٨]** .

وأرى أن هذا الداء مما سرى ودبّ في جسد أمتنا تأثراً بأدواء الأمم السابقة " والأميّة العقليّة هذه، تسود الأمة فى حال التقليد، والغياب الحضاريّ، والعجز عن تدبّر القرآن، والتعامل مع الأحداث، واتخاذ المواقف، واكتشاف سنن الله فى الأنفس والآفاق، وحسن تسخيرها، ومعرفة كيفية التعامل معها، والنفاذ من منطوق النص وظاهره إلى مقصده ومرماه.." (٣).

وهذا لعمر الله هو القائم بالفعل ، حيث إن أمتنا الآن– وبخاصة الشباب إلا من رحم الله – تتّبِع كل سَنَن ، وتلبي نداء كل ناعق ، دونما وعي أو إدراك ، ناهيك عن التبعية الفكرية والثقافية، حيث يصير القارئ للقرآن أسيراً لتفسير سابق قرأه ، أو رواية ضعيفة في سبب النزول اعتقدها ، أو قصة دخيلة من القصص

---

(١)كيف نتعامل مع القرآن للشيخ/محمد الغزالي ص١٥،من مقدمة أ/عمرعبيد حسنة لهذا الكتاب،ط دار نهضة مصر.

(٢)يراجع: كتاب الفوائد له ص٨٢، ط دار العلمية – بيروت١٣٩٣هـ.

(٣) كيف نتعامل مع القرآن للشيخ/محمد الغزالي ص١٢، من مقدمة أ/عمرعبيد حسنة .

الإسرائيلي المُخرّق ...ونحو ذلك مما يقبع الفرد المسلم في تبعيته عقوداً تلو عقود، لا يفكر مرة في سبيل للتحرر من هذا الأسر الفكري، ليقبل على القرآن متدبراً من دون خلفيات سابقة، أو أفكار بذهنه عالقة. وهذا بلا شك صارف عظيم من صوارف التدبر؛ إذ كيف للعقل أن يتدبر وهو مقود، وكيف له أن ينطلق وهو أسير، أو كيف يبدع وهو مقلّد متبّع ، ولن ينطلق إلا إذا فُك من إساره ، وتحرر من عقاله.

٦- شيوع استخدام التقنية ، ومواقع الانترنت، والتلهّي بها عن القرآن وتدبّره.

من تكريم الله –تعالى- للإنسان أن سيّده على الكون ، وجعله مُسخّراً لخدمته ؛ تصديقاً لقوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ **[الإسراء:٧٠]**، ومن تمام إنعام الله –تعالى- ما أفاء به علينا من تقدّم علميّ ، وتقنية عصريّة مذهلة ، حتى غدا سكان العالم جميعاً كأنهم يعيشون في بيت واحد .

لكن للأسف تجد كثيراً من مجتمعاتنا تسيء استخدام هذه النعم ، وتتلهّى بها حتى عن الفرض كالصلاة ونحوها، فضلاً عن قراءة القرآن وتدبره، وصار الواحد منهم يطالع صفحته الإلكترونية على أحد المواقع أكثر مما يطالع كتاب الله، وغدت الأمة تنفق على ذلك أثمن وأنفس لحظات حياتها، فضلاً عن أموالها، وحوّلت هذه النعم إلى نقم ، وصار ينطبق على أمثالهم قوله تعالى ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ **[إبراهيم:٢٨]**، وتفاقم الأمر حتى تقطعت العلائق بين أبناء الأسرة الواحدة، إنك لتجد في البيت الواحد كل فرد يقيم على جهازه ، يقلّب الصفحات تلو الصفحات، ويُضيّع في ذلك الساعات تلو الساعات، وإذا ما ناداه مناد حتى رب العالمين فلا مجيب ولا مغيث.

وأرجو من الله –تعالى- أن يوفّق المخلِصين من أبناء الأمة لنشر ثقافة التدبر، وحُسن التعامل مع كتاب الله –تعالى- ، والإفادة من هذه التقنيات في خدمة القرآن، مع تنويع أساليب العرض ، وتحديثها بما يحمل طابع التشويق والجِدّة والإثارة ، فلكل مقام مقال ، ولكل جيل ما يناسبه..

..وبعد فهذه أهم الصوارف ، وإن كان يوجد غيرها الكثير والكثير ، لكني اقتصرت على أبرزها وأكثرها أثرها ، وفيها الغُنية بإذن الله –تعالى- ، وخير الكلام ما قلّ ودلّ، والله الموفق .

المبحث الثالث: **وسائل التدبر وطرقه** .

تمهيد : عشنا من خلال الأسطر الماضية مع أهم موانع التدبر وصوارفه، والآن مع بيت القصيد ، ولُب اللباب، ألا وهو وسائل التدبر ، وتقديم الموانع على الوسائل من باب "تقديم التخلية على التحلية"، وأيضاً ليكون البُعد عن هذه الصوارف من منهج التدبر ، فالبُعد عن كل صارف منها، شخصية كانت أو اجتماعية يُعدّ طريقاً عظيماً من طرق التدبّر.

هذا ولا يظنَنّ القارئ الكريم هنا عند تنويع وسائل التدبر وتعددها أنه من الصعوبة بمكان، أو أن هذه الطرق أو الشروط بمثابة العراقيل التي تقطع أو تعوق طريق المتدبرين..أبداً ولكنها بمثابة:-

أ- إرشادات على الطريق ، من الأهمية البالغة أن يمتثلها المتدبر كُلاً أو بعضاً ؛ ليؤتي تدبره ثماره الطيبة.

ب- وبمثابة شروط تَضْبط عملية التدبر ، حتى لا يقول فى القرآن منْ شاء ما شاء.

وسيكون الحديث عن هذه الطرق من خلال ثلاثة مطالب كما يلي:-

المطلب الأول: الطرق القَبْلية .

أقصد بالطرق القَبْلية: الطرق التي تسبق عملية التدبر، وتتقدم عليها ، وهي بمثابة تمهيد للتدبر لابدّ منه حتى يعظم النفع، وتتآلف مع الطرق التالية للتدبر، حيث إنها تترتب عليها ، وهي تتلخص فيما يلي:

أولاً: **وجود الدافع الذاتي نحو التدبر مع الإخلاص** ، وهذا الأمر من الأهمية بمكان ؛ إذ لابد من الدوافع الداخلية الذاتية التي تدفع القارئ نحو التدبر وتحثّه عليه، ولن يكون ذلك إلا بإدراكه قيمة التدبر وأهميته وعظيم فوائده في الدنيا والآخرة ، وأن الكتاب لم ينزل إلا لذلك ، وأن القلب حي بالقرآن عند تدبره، ميت بدونه، بالإضافة إلى أن هذه الدوافع مع الإخلاص في الطلب، تيسر على صاحبها المشقات والعقبات التي قد تعترضه في طريقه، وتصبّره بإذن الله تعالى في طريق المواصلة .

وفي ذلك يقول ابن تيمية (٧٢٨هـ): " من تدبر القرآن طالباً الهدى فيه تبين له طريق الحق"(١).

ثانياً: **تهيئة القلب قبل البدء في التلاوة والتدبّر**.

وإعداد القلب وتهيئته قبل التدبر مهم جداً ، ويكون بِعدّة أمور :

أ- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، واستحضار طلب عون الله -تعالى- من كيد الشيطان، الذي يسعى جاهداً للصدِّ عن تلاوة كلام الله وتدبّره، والإحالة بين القارئ وبين الانتفاع بالقرآن، امتثالاً لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ **[النحل:٩٨]** ، أي أردت أن تقرأ، مع تهيؤه واستعداده بالطهارة والوضوء، فإن الشيطان من النار، وإنما يطفئ الماء النار.

ب- استحضار عظمة الله -تعالى-، وعظمة كلامه -سبحانه- ، وذلك باستشعار عظمته وقدرته وهيمنته ، وعلّوه وكبريائه، وأسمائه وصفاته،..قبل التلاوة ؛ ليدرك القلب عظمة الله -تعالى- ، فإذا امتلأ القلب مهابة وتعظيماً لربه -سبحانه- عظّم كلامه، وأقبل عليه مُصغِياً متأمّلاً متدبِّراً.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميةص١٩٢، تح د/محمد خليل هراس، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ١٤١٣هـ .

يقول المحاسبي (٢٤٣ هـ):(١)" فإذا عظُم في صدرك تعظيم المتكلّم به[أي القرآن] لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذّ ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفهْم معاني قوله تعظيماً وحباً له وإجلالاً، إذ كان تعالى قائله، فحبّ القول على قدر حبّ قائله.." (٢).

ج– دعاؤه ﷻ بالتوفيق إلى التدبّر مع الإلحاح، حيث إن كثيراً من الناس لا يدعون ربهم بمثل هذا الأمر، إما لعدم التفاته إليه، أو لعدم اهتمامه به أصلاً ، وإن دعا فإنه لا يلحّ، لأن " بعض الناس لا يعرف الإلحاح إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها بارداً باهتاً " (٣).

د– محبة القرآن ،والانشغال به، فمن المعلوم أن من أحب شيئاً تعلّق به، واشتغل به عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، لكن لابد لهذا الحب **من علامات، أهمها**: الفرح بلقاء القرآن ، والجلوس معه أوقاتاً طويلة دون ملل، والشوق إليه مهما طال العهد، وحالت الموانع، وكثرة مشاورته في كل الأمور مع الثقة التامّة بتوجيهاته، وطاعته أمراً ونهياً" (٤).

هـ– الوقوف على شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن، وهي كثيرة مشهورة موفورة(٥)، ولابدّ للمتدبر من الوقوف على جملة من ذلك ؛ ليقف على المنهج الأصيل لقراءة القرآن وتدبره، ويعرف حال من نزل عليه القرآن ، وحال المعاصرين له ، فإن ذلك أدعى للامتثال ، وأحرى بالاقتداء .

و– اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن، ميت بدونه(٦)، وهذا من الدوافع الأكيدة نحو التدبر لمن يريد لقلبه أن يحيى حياة حقيقية بالقرآن، وإلا كان في المعيشة الضنك التي حذّر الله منها في قوله تعالى

---

(١) **هو**: الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، ولد ونشأ بالبصرة، كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد، والرد على المعتزلة وغيرهم، قال عنه صاحب الميزان:وأما المحاسبى فهو صدوق في نفسه، وقد نقموا عليه بعض تصوّفه وتصانيفه،من كتبه (آداب النفوس،وشرح المعرفة ،.. مات ببغداد في (٢٤٣ هـ)(ميزان الاعتدال للذهبي١/٤٣٠، وصفة الصفوة لابن الجوزي٢/٣٦٧، الأعلام٢/١٥٣).

(٢) يراجع: فهم القرآن ومعانيه لأبي عبد الله الحارث المحاسبي(٢٤٣ هـ) ص٣٠٢،تح/حسين القوتلي،ط دار الكندي– بيروت ١٣٩٨هـ،وتدبر القرآن مفهومه وأساليبه د/فهد الوهبي ص١٩، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه "تبيان"– جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الثامن١٤٣٢هـ.

(٣) مفاتح تدبر القرآن د/خالد عبدالكريم اللاحم ص٣١بتصرف، ط الثانية– سفير بالرياض١٤٢٨هـ.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧بتصرف.

(٥) يراجع تمثيلاً لا حصراً: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبد الله محمد بن نصر المرْوَزِيّ (٢٩٤هـ) ص١٤٢،اختصار العلامة/ أحمد بن علي المقريزي،ط فيصل أباد– باكستان ١٤٠٨ هـ .. وغيره.

(٦) اقتباساً من: فن التدبر في القرآن الكريم د/عصام العويد ص٢٣، من إصدارات مركز تدبر بالرياض١٤٣١هـ.

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ **[طه: ١٢٤، ١٢٣]**، نعوذ بالله من ذلك.

ز- معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلى القلب(١)، حيث إن استشعار القلب لذلك يُصلِح أمره ،ويقوّم اعوجاجه ، بخلاف ما لو قرأ القارئ واعتبر أن ما يقرؤه إنما هو لأقوام آخرين سابقين أو لاحقين ، أما هو فيحسن الظن بنفسه ، ويدّعي أنه على خير..وهذا مدخل عظيم للشيطانعلى بني الإنسان.

ومما يدل على مخاطبة القلب بالقرآن قوله تعالى﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ **[الشعراء: ١٩٤، ١٩٣]**، حيث لم يقل هنا:على سمعك أو بصرك أو...بل "**على قلبك**" للدلالة على المقصود، وأن القلب سيد الجوارح وبصلاحه صلاحها ، وبفساده فسادها، نعوذ بالله من الخذلان.

ثالثاً: الوقوف على قواعد النظم القرآني ولو إجمالاً .

من الأهمية بمكان أن يقف المتدبر على شيء من قواعد النظم القرآني، وأساليبه في التعبير عن مختلف القضايا ؛ حيث إن الوقوف على شيء من ذلك يجعل القارئ على بيّنة من الأسلوب القرآني، فتندفع عنه الدهشة التي قد تعتريه أثناء تلاوته ، كالوقوف على أسرار التقديم والتأخير ، والحذف والذكر، والإطناب والإيجاز، والتوكيد ...ونحو ذلك مما يعين على التدبر .

وفي أهمية الوقوف على هذا العلم يقول صاحب "البرهان":

" اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه، ..وكيف لا يكون وهو المُطْلِع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين، ما أودع من حسن التأليف، وبراعة التركيب، ..مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى.." (٢) .

ونحن لا نطالب المتدبر بالإلمام بهذه الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم، والوقوف عليها وقوف المتخصصين " إنما نطلب من أن يعلم ما يحتاجه من هذه العلوم ، ويطلع على الضروري منها للتعامل مع القرآن، ويأخذ مجمل الموضوع بإيجاز يحقق الغاية، ويمكنه أن يكتفي بدراسة كتاب واحد من علوم القرآن، التي عرضت هذه الموضوعات بإيجاز مجمل مفيد.." (٣).

---

(١) المصدر نفسه ص٣٠.

(٢)يراجع : البرهان للزركشي ٣٨٢/٢بتصرف، وتدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص١٣٢.

(٣) مفاتيح التعامل مع القرآن د/صلاح الخالدي ص١٤٢بتصرف،ط دار القلم بدمشق١٤١٥هـ.

وهذا العلم أيضاً يعين صاحبه على الوقوف على بعض أسرار تذييل الآيات القرآنية ببعض أسمائه وصفاته تعالى ، ومناسبة هذه الخواتم لمضمون الآية وفحواها .

يقول صاحب "القواعد الحسان" في ذلك : "خَتْمُ الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلّق بذلك الاسم الكريم، وهذه قاعدة لطيفة نافعة، عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها، وهذا باب عظيم من معرفة الله، ومعرفة أحكامه، من أَجَلّ المعارف وأشرف العلوم.." (١).

وهذا بلا شك باب عظيم من أبواب التدبر ، نسأل الله –تعالى- أن يرزقنا منه النصيب الوافي، والحظ الوافر.

رابعاً: تهيئة الجو المناسب للتدبُّر .

يُعد من أهم عوامل التدبُّر: كوْن المكان والزمان والأعضاء والجوارح مهيئة " فلكي يقوم القرآنُ بعمله في التغيير لابد من تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله، ومن ذلك وجودُ مكان هادئ، بعيد عن الضوضاء، يتمُّ فيه التلاوة، فالمكان الهادئ يعين على التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما اسْتُثيرت بالبكاء والدعاء .

ومع وجود المكان الهادئ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز، لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا ننسَ الوضوء والسواك.." (٢)

وبهذا يتأكد دور تهيئة الأجواء الإيمانية قبل البدء في التلاوة ، فهي من أقوى المعينات على التدبر بعد الله ﷻ " أما الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات، ولحظات الترقُّب والانتظار ، فجدير أن لا تخلص إلى قلبه كثير من معانيه " (٣)، نسأل الله معافاته ومغفرته.

خامساً: الوقوف على معاني الآيات ، وموضوعات السورة مجملة.

مر بنا سابقاً في بيان العلاقة بين التدبر والتفسير أن الثاني أصل للأول ومتقدم عليه، إذاً فلا بدّ من معرفة معاني الآيات–على الأقل محلّ التدبر- قبل البدء في التلاوة ، وأن ينتقي القارئ تفسيراً مختصراً مفيداً مركّزاً خالياً من الإسرائيليات والحشو والاستطرادات...وما شاكل ذلك، مما قد يقطع على المتدبّر طريق تدبّره ، ويبدأ بمثل هذه التفاسير المختصرة ثم يتدرّج إلى ما فوقها بعد ذلك ، كما أرى أن يصطحب القارئ

---

(١) القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٠٧هـ) ص٥١بتصرف، عناية د/خالد السبت، ط دار ابن الجوزي بالرياض ١٤٢٠هـ.

(٢) كيف ننتفع بالقرآن د/ مجدي الهلالي- بحث منشور بمنتديات "مكتوب" بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٨١).

(٣) أفلا يتدبرون القرآن د/ناصر العمر ص١٥٣،ط دار الحضارة للنشر بالرياض ١٤٣٢هـ.

المتدبّر مصحفاً مطبوعاً على هامشه التفسير"كالتفسير الميسر لمجمع الملك فهد.. ونحوه" ؛ لسرعة وسهولة الوصول إلى معنى ما يعنّ له أثناء التلاوة.

كما أنه من الأهمية بمكان أن يستعرض المتدبّر موضوعات السورة وخصائصها ومقاصدها قبل البدء في التلاوة " وسيكون حسناً لو وضعها في جدول، أو شجرة متَسلسلة تكون أمامه عند التلاوة، وعندها ستتجلّى فوائد عظيمة لم تكن بالحسبان "(١).

وأختم الطرق القَبْليّة بجملة من الآداب ينبغي للمتدبر امتثالها، ذكرها صاحب "البرهان" بقوله:

" أصل الوقوف على معاني القرآن: التدبُّر والتفكُّر..وإذا كان العبد مُصغياً إلى كلام ربه، ملْقِيَ السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطِبِه، ناظراً إلى قدرته، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئاً من حوله وقوته، معظِّماً للمتكلِّم، مفتقراً إلى التفُّهم بحال مستقيم، وقلب سليم وقوة علم وتمكُّن سَمْعٍ لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسْكُنّ، وانتظار للفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستَعِن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف والإنذار بالتّشديد، فهذا القارئ أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ **[البقرة:١٢١]**، وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف" (٢)،وجميع المسلمين،اللهم آمين.

المطلب الثاني: الطرق الإجرائية أثناء التلاوة .

يُطلب من المتدبّر أثناء التلاوة أمور لتعينه وتيسر له عملية التدبر، ومن أهم هذه الأمور ما يلي:-

أولاً- الترتيل والتمهُّل أثناء التلاوة.

من الوسائل المهمّة في التدبر أن يكون القارئ مترسِّلاً، يقرأ بتؤدة وطمأنينة، لا يجعل همّه آخر السورة، ولا هدفه الكَمَّ والعدد، ومتى سيختم؟ ليبدأ رحلة جديدة، بختمة سريعة أيضاً .

والتعجُّل في التلاوة مخالف للمنهج القويم، بل ويفوّت على القارئ المقصود الأعظم من تلاوته.

فالله تعالى يقول﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ **المزمل:٤]** أي: اقرأه على تمهُّل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره(٣).

---

(١) ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء ٢/٣٢٦ ، ٥/١٠بتصرف،من مطبوعات مركز"تدبر" بالرياض ١٤٣٠،١٤٣٣هـ.

(٢)البرهان ٢/١٨٠،١٨١بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ) ٨/٢٥٠، تح أ/سامي سلامة، ط دار طيبة١٤٢٠هـ..

وأكتفي هنا بما أنكره سيدنا ابن مسعود ﵁ على أحدهم حين أخبره أنه قرأ المفصّل(١) في ليلة، فقال له: " قرأتُ المفصّل البارحة، فقال عبدالله : هَـذَّاً كهَذِّ الشِّعْر(٢)!! إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القُرَناء التي يقرأ بهن النبي ﷺ "(٣).

ثانياً- الخشوع وتحسين الصوت من غير تكلّف.

ومقصود التدبر الأعظم: خشوع القلب وذلّته وسكونه لله –تعالى- ، ولذلك تسمو الروح، وتبكي العين، وتتأثر الجوارح، وتذلّ النفس لخالقها وتخضع لربها، ويورث ذلك خشوع الظاهر، " وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمّل ما فيه من التهديد، والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب" (٤).

كما ينبغي للقارئ المتدبر أن " يعطى القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن، من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن، بزيادة أو نقصان فإن ذلك حرام"(٥).

وفائدة تحسين الصوت بالقرآن أنه أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، فبه تَنْفُذ ألفاظ القرآن إلى الأسماع ، ومعانيه إلى القلوب ؛ وذلك عون على المقصود(٦)..

ثالثاً- التجاوب والتركيز مع الآيات الكريمة.

وأقصد بالتجاوب: معايشة الآيات القرآنية، واستحضار معانيها " مع تصور الأثر الذي تحدثه في نفس القارئ والسامعين، فيُسَبِّح تارة ، ويتساءل تارة ، ويستعيذ أخرى..وإذا مرّ بآية تخاطب الأنبياء علم أنه مخاطب بذلك من باب أولى ، وإذا قرأ ثناء الله على أعمال الأنبياء والصالحين علم أنه مخاطب، وأن تأثره

---

(١) المقصود بالمفَصّل:السور الأخيرة من القرآن الكريم، والتي مبدؤها من سورة الحجرات على الأصح، وسُميت بذلك لكثرة الفصل بين بعضها البعض بالبسملة من أجل قِصَرها،وقيل:لقلة المنسوخ فيها.(مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)١/١٩٧، ط عيسى الحلبي بالقاهرة).

(٢) **الهذُّ**: سرعة القراءة، وإنما عاب عليه ذلك لأنه إذا أسرع في القراءة، ولم يرتلها فاته فهم القرآن وإدراك معانيه، كما يُنْشد الشعر، وأصل الهَذِّ: سرعة الدفع (معالم السنن لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي (٢٨٨ هـ)١/٢٨٣،ط المطبعة العلمية – حلب١٣٥١هـ،و فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)٩/٩٠، ط دار المعرفة – بيروت١٣٧٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري–واللفظ له- في صحيحه ك(فضائل القرآن) ب(الترتيل في القراءة)ح(٤٧٥٦) يراجع: الصحيح٤/١٩٢٤، ومسلم ك(صلاة المسافرين)ب(ترتيل القراءة)ح(١٩٤٥) يراجع الصحيح ٢/٢٠٤،**والقُرَنَاء**:النظائر من السور التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينها في صلاته(من تعليق د/ البغا على البخاري).

(٤) الإحياء ١/٢٧٧بتصرف، والتبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ص٨٨، تح أ/ محمد الحجار، ط دار ابن حزم، وتدبر القرآن للسنيدي ص٦٨.

(٥) تفسير القرطبي ١٠/٣٣٩بتصرف.

(٦)تدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي ص١١٨بتصرف.

واقتداءه مطلوب أيضاً، وإذا مرّ بذمّ الله لأعمال العصاة والظالمين علم أنه مخاطب ، وأن تأثره مقصود وحذره مطلوب كذلك" (١).

وما أروع ما ذكره صاحب "الإحياء"(٢) في وصف القرآن وقارئه المتدبِّر المستغرق في آياته، حيث يقول: " إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضاً وخانات، فإذا دخل القارئ الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزّه في الرياض، وسكن غرف الخانات، استغرقه ذلك وشُغل عما سواه فلم يعزُب قلبه، ولم يتفرق فكره.." أ.هـ

ومن عاش هذه المعاني، وتجاوب فكره معها،فأنَّى يغفل قلبه لحظة، أو يشرد عقله هنا أو هناك برهة؟!!

رابعاً - تكرار الآية المؤثرة على القلب.

لا شك أن آيات القرآن كلها مؤثرة ، لكن بعضها أكثر تأثيراً من بعض، فيهجُم هذا البعض على القلب الحي هجوماً لا استئذان فيه، فيزلزله من مكانه، ويقتلعه من جذوره ، ويجعل الدمع ينهمر من العين مدراراً، فـ " علينا أن نستثمر هذه الفرصة أطول فترة ممكنة من خلال تكرار الآية أو الآيات التي أثّرت فينا، ولا ننتقل عنها إلى غيرها طالما وُجد التأثر، فإن هدأت المشاعر، وخفّ التأثر انتقلنا إلى الآيات الأخرى، منتظرين تأثراً جديداً" (٣).

ورد أن الحسن البصري- رحمه الله- ردّد ليلة:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ **النحل:١٨]** حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: " إن فيها معتبراً، ما نرفع طَرْفاً ولا نردّه إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر"(٤).

ويقول ابن القيم(٧٥١هـ):" لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبّر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكُّر حتى مر بآية، وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكُّر وتفهُّم خير من قراءة ختمة بغير تدبُّر وتفهُّم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذَوْق حلاوة القرآن ، وهذه كانت عادة السلف يردِّد أحدهم الآية إلى الصباح.."(٥) والآثار في ذلك كثيرة لا يتسع المقام لها.

خامساً- إثارة التساؤلات حول الآية.

من أعظم وسائل التدبر : أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ، ويقف مع الآيات متسائلاً: لماذا قُدمت هذه السورة على تلك ؟ ولماذا تميّزت هذه السورة عن تلك بافتتاحية ما ؟ ولماذا تكررت آية بعينها

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٤ بتصرف.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٢٨٢.

(٣)كيف نحيي قلوبنا في رمضان أ/مجدي الهلالي ص١٣، ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة ١٤٢٧ هـ .

(٤) مختصر قيام الليل ص ١٤٨.

(٥) مفتاح دار السعادة١/١٨٧.

في سورةٍ ما أكثر من مرة؟ ولماذا عُبر هنا بكذا بينما عُبّر في موضع آخر بكذا...ويحاول الإجابة عن ذلك بنفسه، قبل أن يسأل كتب التفسير أو من العلماء عنها، فإن ذلك مما يُثري ملكة التدبّر وينمِّيها.

وقديماً قالوا: "العلم خزائن ومفتاحه السؤال" وأي علم أوسع وأغزر من القرآن الكريم ؟!!

فهذه التساؤلات وغيرها تجعل القرآن الكريم يفتح لنا أسراره الكامنة، وتجعلنا نستجلي ونستنبط من الآيات ما لم نعهده من ذي قبل، ولم نطّلع عليه في كتاب !!

سادساً- تحرّي أوقات الفراغ الذهني وبخاصة قيام الليل.

مرّ بنا أن تهيئة جوّ التدبر من الأهمية بمكان، وتزداد الأهمية هنا بحُسن اختيار الوقت الذي تتوفر فيه:

أ- راحة القارئ ب- فراغ باله وذهنه من جميع الشواغل ج- السكون وعدم الضجيج .

والله ﷻ بيّن في كتابه أحسن الأوقات لقراءة القرآن، ومنها:

١- ما كان في الصلاة، وهذا أفضل الأوقات، قال تعالى﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ **[الإسراء:٧٨]** ، قال ابن جرير وغيره: صلاة الصبح(١)، تشهده ملائكة الليل والنهار(٢).

٢- الليل ، قال تعالى﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ ﴾ **[المزمل:٦]**، وناشئة الليل:أي الصلاة الناشئة في الليل، ووصفت الصلاة بالناشئة ؛ لأن المصلي أنشأها فنشأت بعد هدأة الليل، وقوله : "أشد وطئاً" أي: أن صلاة الليل أوفق بالمصلي بين اللسان والقلب، بين النطق بالألفاظ وتفهّم معانيها، للهدوء الذي يحصل في الليل وانقطاع الشواغل(٣).

وأفضل أوقات الليل : وقت السحر في الثلث الأخير من الليل،وقت تجلي الرب ونزوله إلى السماء الدنيا.

٣- بعد صلاة الصبح إلى أن تشرق الشمس : وهذا وقت الذكر ،ولا ذِكْر أعظم من القرآن(٤)، مع حُسن الأجر والمثوبة في مثل هذه الأوقات.

سابعاً - المجاهدة والترقّي .

---

(١) تفسير الطبري١٧/٥٢٠.

(٢) وهذا وارد في حديث **متفق عليه** رواه البخاري في صحيحه ك(التفسير)ب(قوله تعالى"إن قرآن الفجر كان مشهوداً" ح(٤٧١٧)يراجع الصحيح ١٠٨/٦،ومسلم في صحيحه ك(المساجد)ب(فضل صلاة الجماعة)ح(١٥٠٥) يراجع: الصحيح ١٢٢/٢)

(٣) التحرير والتنوير ٢٤٥/٢٩.

(٤) يراجع: أفلا يتدبرون القرآن د/أسماء الرويشد ص١٧بتصرف ، ط دار الوطن للنشر بالسعودية، ومفاتح تدبر القرآن د/خالد اللاحم ص٦١.

لا شك أن المتدبر سيجد في طريقه بعض العقبات والآلام ، وبخاصة إذا كان في بداية الطريق، فلابد له حينئذ من المجاهدة وتحمّل المشاق لأمرين:-

أولهما: أن القرآن ليس كتاباً من الكتب البشرية التي يحيط أي إنسان بها، ويتعرّف على أغراض مؤلِّفيها بمجرد تصفُّحها، بل إنه يحتاج إلى العلم بمقاصد الله ﷻ في كتابه، وهي غزيرة جمّة.

ثانيهما: أن معظم القرآن عمليّ وليس نظرياً، ومن ثمّ فلا يمكن فهمه بطريقة نظرية فحسب، بل لابد للفرد من تجارب يعيشها ، وعمل يحققه في واقع الحياة، وهذه إحدى ميزات الصحابة -رضوان الله عليهم- .

وعلى هذا ينبغي للمتدبر أن يتصبّر لما قد يتعثّره ، فيبدأ بتدبر آية، يحاول أن يقف معها، ويتفهّم دلالتها ، وينظر أين هو منها؟ثم بعد الآية آيات، ثم سورة وسُور(١)..وهكذا حتى يرقى إلى درجة عظيمة بالممارسة، وحسبه قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ **العنكبوت:٦٩].**

ثامناً- تصوّر حالة الدعوة أثناء التلاوة.

من لم يتمكن من العيش مع معاني القرآن وقت نزولها، فلا أقل من أن يتصوّر حال الدعوة عند نزول القرآن، وعندئذ ستتغير نظرته وتعامله مع تلك الألفاظ، وسوف تصبح في ذهنه حية متحرّكة، ويتصوّر أثرها على النبي ﷺ والصحابة الكرام، فكم من سُوَرٍ مكيَّة كانت برداً وسلاماً على قلوب الصحابة، وتثبيتاً لأنفسهم، وهم يواجهون الجاهلية في قمة طغيانها، وليتصوّر القارئ ما جرى للأنبياء السابقين من كيد وأذى من خلال قصصهم في القرآن، ولينظر إلى ما يجول في قلوبهم وهم يسمعون وعد الله بالنصر وحسن العاقبة، وهم ما زالوا في مكة لم يشهدوا بدراً ..ولا غيرها.

وعليه فمعرفة حالة الدعوة عند نزول الآيات، التي هي بمثابة سبب النزول العام، مع الأسباب الخاصة الأخرى..من أعظم الأمور المعينة على التدبر لمقاصد الآيات وحِكَمها وأحكامها.

وفي ذلك يقول السعدي(١٣٧٦هـ) : " النظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه..ط (٢).

تاسعاً- تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن.

مما يثري ملكة التدبر لدى القارئ أن يتدارس القرآن مع غيره من العلماء أو الأصحاب أو الأهل، فتدارس العلم يفتح الآفاق، ويعين على التدبر، ويصحّح الخطأ، ويقوّم السلوك والفكر..

ومن فاته شيء من السبل السابقة، فلا أقلّ من أن يتدارس القرآن مع أهل العلم والفضل ، أوحضور حلق العلم، أو بالسؤال والمناقشة، ومن أبلغ الدلائل على هذه الفضيلة قوله ﷺ :

---

(١)يراجع: المدخل إلى الدراسات القرآنية-مبادئ تدبر القرآن لأبي الحسن الندوي(١٤٢٠هـ)ص١٤٣،ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ،و أفلا يتدبرون القرآن د/ العمر ص١٥٥.

(٢)يراجع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) ص٣٠، تح د/عبد الرحمن اللويحق،ط الرسالة١٤٢٠هـ ، وتدبر القرآن للسنيدي ص١٠٠ بتصرف.

(وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده..) (١).

عاشراً – تخفّف المتدبّر من الماديات قدر المستطاع .

وأقصد بذلك : أن يتخفَّف المؤمن عموماً والمتدبّر خصوصاً من مُتع الحياة وزخرفها، وشهواتها ورفاهياتها، ويتخفّف من المآكل والمشارب ، ويُقبِل على القرآن بمعدة خالية أو شبه فارغة، ولا يَتعجبَنّ القارئ الكريم من هذا الأمر فهو جِدّ خطير، وأثره في إعاقة التدبر كبير ؛ وذلك لأن القرآن كلامُ لطيفٍ خبير، فبِقدْر تخفُّف القارئ من ماديّاته وشهواته، يكن إقبال الله –تعالى- بفتوحاته وفيوضاته، والإنعام عليه بخزائن كتابه وأسراره .

ولا أدلّ على ذلك مما قاله لقمان لابنه: " يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرَست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، وقال سحنون(٢): لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع"(٣).

المطلب الثالث: الطرق البَعْديّة .

أولاً - شكر المؤمن ربه على ما هداه إليه من تدبر.

وهذا ديدن المؤمن دوماً أن يكل الفضل لصاحب الفضل، وأن يبرأ من حوْله وطوْله إلى صاحب الحوْل والطوْل ﷻ ، فلولا الله ما فتح القرآن المتدبر ، ولا تلا ولا تدبر، فشكره لربه- سبحانه وتعالى- يزيده تدبراً ، ويجعله يُقبل على القرآن بحُبّ ونَهم ، ولا غرو في ذلك فهو القائل سبحانه ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ **[إبراهيم:٨]** ، حيث وعد بالمزيد مع الشكر ، ووَعْده لا يتخلّف أبداً .

والشكر " يكون بالقلب واللسان والجوارح، فأما **شكر القلب**:فيعني الاعتراف بالنّعم للمنعِم، وأنها منه وبفضله..ومن الشكر بالقلب محبة الله على نعَمِه ،**والشكر باللسان**: يعني الثناء بالنعم وذكرها وتعدادها

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم في صحيحه ك(الذكر والدعاء)ب(فضل الاجتماع على تلاوة القرآن) ح(٧٠٢٨) يراجع الصحيح ٧١/٨، و أفلا يتدبرون القرآن د/العمر١٥٥بتصرف، وتدبر القرآن للسنيدي ص ١٣٩بتصرف.

(٢) **سحنون** هو:أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان المغربي المالكي، قاضي القيروان، وصاحب "المدونة"وغيرها من العلماء الزهاد، توسّع في الفروع دون غيرها، توفي رحمه الله سنة أربعين ومائتين ، وله ثمانون سنة(يراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(٦٨١ هـ) ١٨٠/٣،تح أ/إحسان عباس،ط دار صادر – بيروت١٩٠٠م ، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)٦٣/١٢،تح/ مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط،ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ).

(٣) يراجع: الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض اليحصبي(٥٤٤هـ)٨٦ ، ومبادئ تدبر القرآن للندوي ص١٤٤.

وإظهارها، **والشكر بالجوارح**:يعني أن لا يُستعان بالنعم إلا على طاعة الله ﷻ ، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه" (١)، والله أعلم.

ثانياً – فرح القلب وسعادته بالتدبُر.

نعم حُقّ للقلب أن يفرح ويسعد بما منّ الله –تعالى– على صاحبه من التلاوة والتدبر ؛ حيث إن سعادة المرء بذلك التدبّر يدفعه إلى المزيد والمزيد، ويحمله على المواصلة بعزم أكيد، وهمّة تفّل الحديد .

ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ **[يونس:٥٨]**، وينبغي أن لا يُنسِي الفرح دعاء الرب –سبحانه– بدوام التدبر والتفكر، والابتهال إليه باستمرار لذة الاستنباط والتأمّل، فهو كريم سبحانه لا يَرد دعاء من ناداه .

ثالثاً - إبراز ثمرة التدبر في التطبيق والتنفيذ.

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، والمقصود الأهم للتدبر، أن يُترجم ذلك كله إلى واقع عمليّ، فنرى للمتدبر خلقاً فاضلاً، وعملاً صالحاً، ومشاركة في الخير وبناء، وتأسياً بالنبي ﷺ واقتداء...وإلا تحوّلت عنه نعمة التدبر، وكان علمه وقراءته وبالاً عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾ **[البقرة:٢٨٢]**.

وقال الحسن–رحمه الله– : " نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته : من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجَمْع الفكر على معاني آياته" (٢) نسأل الله –تعالى– أن نكون من العاملين المخلصين، اللهم آمين.

رابعاً - المواظبة على حزب يومي للتدبر.

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي(٧٩٥هـ)١/٣٥٠بتصرف،أ/طلعت الحلواني، ط الفاروق الحديثة١٤٢٤هـ.

(٢)مدارج السالكين ١/٤٥١ بتصرف.

لا بدّ للمسلم بعد أن تذوق حلاوة التدبر أن يجعل له وِرْداً يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً حسب استطاعته، وإن كان قليلاً حتى يداوم عليه، فأحب العمل إلى الله –تعالى– أدومه وإن قلّ .

" ومن الرائع أن لا يُغلب الإنسان على وِرْده من التدبر مهما كانت الظروف، والورد اليومي من القرآن – كما يقول البعض– في اليوم الأول كالجبل ، وفي الثاني كنصف الجبل، وفي الثالث كلا جبل، وفي اليوم الرابع مثل الغذاء الذي تتألم لفقده " (١).

وأقترح في هذا المضمار أن يجعل المسلم لنفسه وِردَيْن بختمتين، الأولى للمراجعة وتثبيت الحفظ حتى لا يتفلّت منه القرآن، وتكون في أسبوع أو ثلاثة أيام، والثانية للتدبر، يتأنّ فيها ويتدبر، قد تكون كل شهرين أو ثلاثة، أو سنة.. كلٌ بحسبه، ويدوّن ما يفتح الله تعالى عليه به، فالعلم صَيْد والكتابة قَيده.

خامساً- التعوُّذ بالله من الشيطان خوفاً من العُجب .

إذا كان التعوُّذ من الشيطان الرجيم مأموراً في بداية التلاوة والتدبر، فإنه كذلك مأمور به في نهايتها، في قول مَنْ أخذ بظاهر قوله تعالى﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ ﴾ **[النحل:٩٨]** ؛ وذلك أن القارئ حصّل بقراءته ثواباً، فحتى لا يأتيه الشيطان بالعُجب، ويفوّت عليه ثواب التلاوة ينبغي أن يستعيذ بالله –تعالى– منه.

وفي ذلك يقول صاحب "التفسير الكبير" عمن أخذ بظاهر الآية: " قالوا : يجب أن تكون الاستعاذة متأخرة عن قراءة القرآن، ثم قالوا : وهذا موافق لما في العقل ؛ لأن من قرأ القرآن فقد استوجب الثواب العظيم، فلو دخله العُجْب في أداء تلك الطاعة سقط ذلك الثواب ، فلهذا السبب أمره اللّه –سبحانه وتعالى– بأن يستعيذ من الشيطان ؛ لئلا يحمله الشيطان بعد قراءة القرآن على عمل يُحبط ثواب تلك الطاعة" (٢)، والله أعلم .

المبحث الرابع : غايات التدبر و ثماره.

إن من يلهمه الله –تعالى– التدبر، ويرزقه إياه يتحصّل على خيرات كثيرة، ونفحات منه عظيمة، وثمار يافعة ، وهي كثيرة متنوعة، ولكني سأذكر هنا أهمها وأبرزها، فيما يلي:–

١ – زيادة الإيمان وتجديده .

---

(١) الطريق إلى القرآن للشيخ/إبراهيم السكران ص١١٦بتصرف، ط مركز الفكر المعاصر بالرياض١٤٣٣هـ.

(٢) مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازى(٦٠٦هـ)٦٦/١،ط إحياء التراث العربي . بيروت.

وصف الله –تعالى– قوماً من شأنهم أنهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيماناً، وأثّرت في قلوبهم، وأثمرت الخير العميم فيهم، ولا شك أن ذلك كله لا يكون لقوم يقرأون وهم غافلون أو لاهون، فقال عز من قائل﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ **[الأنفال:٢]**، ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لابدّ أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه،أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ، أو وجلاً من العقوبات، وازدجاراً عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

ولنعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به، والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة ، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن ، وينقص ويضعف على هذه النسبة من تَرْك تدبره ، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه ، ولا فتحوا الأقطار ، ومصروا الأمصار ، واتسع عمرانهم ، وعظم سلطانهم ، إلا بتأثير هدايته(١).

ولما علم المشركون هذا الأثر البالغ للقرآن كانوا يسعون جاهدين في الحيلولة بين النبي ﷺ وبين أن يقرأ القرآن على غيره حتى لا يتأثر، فيعتنق الدين، وهذا ما يحذرونه.

٢- تحصيل الهداية وتوابعها.

من عظيم الغايات والثمار التي يجنيها المتدبر من تدبره: تحصيل الهداية وتوابعها من الرحمة والبركة...، وأي شيء يرجوه المسلم، ويتمنى أن يُحقق له في الدنيا والآخرة إلا ما ذُكر.

فأما **الهداية** ففي مثل قوله تعالى﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ **[طه:١٢٣]**، وفيها يقول ابن عباس– رضي الله عنهما– : " من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة " (٢).

وأما **الرحمة** ففي مثل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ **[الأعراف: ٢٠٤]** ، فقوله : "وأنصتوا" أي: إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ، ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيِهِ .

---

(١) تفسير السعدي ٣١٥/١، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ/محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) ٤٦٣/٩،ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠م. (٣٤٥/١٣)

(٢) القرطبي ٩/١.

وفي قوله تعالى : " **لعلكم ترحمون** " دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن ، والحصانة من نزغ الشيطان ، وهي الاستماع له إذا قرئ ، والإنصات مدة القراءة ، فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبر ، وهو الذي يُرجى أن يُرحم(١) .

وأما **البركة** فآياتها كثيرة، ومنها قوله تعالى﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ **[الأنبياء: ٥٠]**، ووصْف القرآن بالبركة يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكراً مباركاً، وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلّم ألفاظه وتدبر معانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة من الإعراض عنه، والإضراب عنه صفحاً، وإنكاره وعدم الإيمان به، فهذا من أعظم الكفر، وأشد الجهل والظلم(٢)، ومن ثم ختم الله –تعالى – الآية بالإنكار على من أنكره فقال: { أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ } .

٣- الوقوف على معرفة الله والحلال والحرام.

وهذا من أعظم بركات التدبر، أن يقف المسلم من خلال تدبره على عظمة ربه – سبحانه وتعالى- ، وهيمنته وقدرته، حيث إن المتدبر لن يُرزق نعمة التدبر إلا بتحريك القلب واستشعاره هذه المعاني قبل كل عملية تدبر، وهذا سبق للبحث أن تعرض له في الوسائل القبلية .

ووقوف المتدبر على الحلال والحرام أمر لا شك فيه؛ وذلك لأن القرآن كتاب الله –تعالى- ، ودستوره إلى خلقه، وأضح لهم فيه محابّه ومساخطه، والله –تعالى- ما أحب شيئاً إلا وأحلّه، وما أبغض شيئاً إلا كرهه وحرّمه، وما قوله🕛 ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ **[النحل:٨٩]** إلا ويؤكّد هذه المعاني . فيقول ابن مسعود﵁ : " قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء " ، وقال مجاهد–رحمه الله- كل حلال وحرام ، وقول ابن مسعود: أعم وأشمل ؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم(٣).

٤- الثبات على الحق واليقين .

من تدبر القرآن أوجب له تدبره علماً ضرورياً ويقيناً جازماً، أنه حق وصدق، بل أحقّ كلّ حق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً ومعرفة.

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٣٤٥، والمنار ٩/٤٦١.

(٢)تفسير السعدي ١/٥٢٥.

(٣)تفسير ابن كثير ٤/٥٩٤ بتصرف.

والعبد بذلك يصل إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله ؛ لأنه يراه يُصدِّق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً. فترى الحِكَم والقصة والأخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً، فبذلك يُعلم كمال القرآن، وأنه مِنْ عند مَنْ أحاط علمه بجميع الأمور؛ فلذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ، والغايات كثيرة، والفوائد عديدة لكن ما ذُكر فيه الغُنية والإشارة إلى ما عداه ، والله الموفق والمعين .

الخاتمة

أحسن الله خواتمنا أجمعين .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتُبلغ المرامات ، وتُرفع الدرجات ..، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله خير البريات ، والذي خُتمت به جميع الرسالات والنبوات.

..وبعد

فإن من توفيق الله –تعالى- أن هدانا لهذا الموضوع والمشاركة فيه ببحث ، أرجو من الله –تعالى- أن يكون قد أسهم بشيء من الإفادة والجدة بالنسبة للدراسات القرآنية ، حيث إن التدبر غاية في الأهمية، وبخاصة في الفترة التي بعُت فيها الأمة عن كتاب ربها ونهج نبيها ﷺ ، وتهيم الآن في بيداء البُعد والهجران...

هذا ولقد أفدت من هذا البحث فوائد عظيمة ، **وتحصّلت من خلاله على النتائج التالية:**

أولاً : تغيّر معاملتي مع القرآن وقراءتي له ؛ حيث كنت واحداً من هؤلاء الذين يعجلون في تلاوتهم، لكن بفضل الله –تعالى- ثم ببركات هذا البحث وكتابته، غيّرت من أسلوب تعاملي معه، وشتان مابين الأسلوبين والحياتيْن ، ولله الحمد في الأولى والآخرة، ولو لم اتحصّل إلا على هذه النتيجة لكفَتْ.

ثانياً : الوقوف على الأهمية البالغة لمنهج التدبر، وتفعيل دوره في الأمة الآن بمختلف الوسائل والأساليب المقرءوة والمسموعة والمتَصَفَّحة.. وغيرها ؛ وذلك لإعادة الدور الرائد لأمتنا كما كانت، وستظل بإذن الله تعالى .

ثالثاً: ضرورة معرفة صوارف التدبر وعوائقه أولاً، وإيجاد الطرق والوسائل للتغلب عليها، حتى ينعم المتدبر بالتلاوة والتدبر، وإلا كان عمله ضائعاً أو قليل الجدوى، متقطع الأزمان غير دائم.

رابعاً: الوقوف على جملة من الوسائل والأساليب المعينة على التدبر، القبلية والإجرائية والبَعدية، التي تعين على التدبر، بعد عون الله تعالى وتوفيقه.

هذا وإني أوصي في نهاية بحثي بأمرين :

أولهما : تضافر جهود جميع أفراد الأمة وبخاصة المخلصين والمتخصصين منهم في نشر ثقافة التدبر، وتفعيل دوره بين أفراد المجتمع بشتى الوسائل والطرق، والاهتمام الخاص به على المستوى الأسري والاجتماعي، والموسسي والحكومي، وحلقات التحفيظ...وغيرها.

ثانيهما : إقامة وتعدد الدورات والمؤتمرات والندوات للإفادة منها في هذا الجانب بين الحين والآخر، وتفعيل دور التقنيات الحديثة اليوم في خدمة كتاب الله تعالى، والإفادة الحقيقية من المشاركات فيها ، ومحاولة تطبيق ما يمكن تطبيقه منها على أرض الواقع ، والبدء الفعلي والجاد والفوري في تنفيذ ذلك.

والله الموفق والمعين ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

كتبه أبوالبراء

عبدالله موسى محمد أبو المجد

الأستاذ المشارك بجامعتي الأزهر والإمام محمد بن سعود

و﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات ١٨٠-١٨٢].

ثبت أهم المصادر والمراجع .

أ- مصادر خاصة بالتدبر

١- أفلا يتدبرون القرآن د/ناصر العمر، ط دار الحضارة للنشر بالرياض ١٤٣٢هـ.

٢- أفلا يتدبرون القرآن د/أسماء الرويشد ، ط دار الوطن للنشر بالسعودية.

٣- تحرير معنى التدبر عند المفسرين د/فهد الوهبي ،ضمن أوراق العمل المطبوعة بكتاب"مفهوم التدبر-تحرير وتأصيل" والمقدمة في الملتقى الأول لتدبر القرآن الكريم التابع لمركز"تدبر" بالرياض ١٤٣٠هـ.

٤- تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها د/نايف الزهراني ، بحث منشور ضمن بحوث الملتقى الثاني للتدبر بالرياض١٤٣١هـ.

٥- التأثر بالقرآن والعمل به أ.د/بدر بن ناصر البدر ،ط مدار الوطن بالرياض ١٤٢٨هـ.

٦- التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات "التأويل والاستنباط والفهم والتفسير"أ.د/عبدالله سرحان من إصدارات مركز"تدبر"بالرياض١٤٣١هـ.

٧- تدبّر القرآن د/ سليمان السنيدي ، ط الثانية-ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي٢٠٠٢م.

٨- تدبر القرآن مفهومه وأساليبه د/فهد الوهبي ص١٩ ، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه "تبيان"- جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، العدد الثامن١٤٣٢هـ.

٩- صوارف فهم القرآن وعلاجها أ/سامية حرب ،رسالة تكميلية للماجستير بالجامعة الأردنية ٢٠٠٨م

١٠-الطريق إلى القرآن للشيخ/إبراهيم السكران ط مركز الفكر المعاصر بالرياض١٤٣٣هـ.

١١- فهم القرآن ومعانيه لأبي عبد الله الحارث المحاسبي(٢٤٣ هـ) تح/حسين القوتلي،ط دار الكندي بيروت ١٣٩٨هـ.

١٢-فن التدبر في القرآن الكريم د/عصام العويد من إصدارات مركز تدبر بالرياض١٤٣١هـ.

١٣-كيف نتعامل مع القرآن للشيخ/محمد الغزالي ،ط دار نهضة مصر

١٤-كيف نتعامل مع القرآن العظيم د/يوسف القرضاوي ،ط دار الشروق بالقاهرة٢٠١١م.

١٥-كيف نحيي قلوبنا في رمضان أ/مجدي الهلالي ط مؤسسة اقرأ بالقاهرة ١٤٢٧هـ.

١٦-ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء من مطبوعات مركز"تدبر" بالرياض ١٤٣٠،١٤٣٣هـ.

١٧-المدخل إلى الدراسات القرآنية-مبادئ تدبر القرآن لأبي الحسن الندوي(١٤٢٠هـ) ،ط دار الصحوة بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

١٨- مفاتح تدبر القرآن د/خالد عبدالكريم اللاحم ص٣١بتصرف، ط الثانية- سفير بالرياض١٤٢٨هـ.

١٩-مفاتيح التعامل مع القرآن د/صلاح الخالدي ط دار القلم بدمشق١٤١٥هـ

ب– مصادر عامة

٢٠–إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ) ، ط دار اا‌لمعرفة – بيروت.

٢١–إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر(٧٥١هـ) ، تح أ/طه سعد،ط دار الجيل – بيروت١٩٧٣م.

٢٢–بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٨١٧ هـ) ، تح أ/محمد النجار، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة١٩٩٦م.

٢٣–البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) تح أ/محمد أبو الفضل، ط الحلبي بالقاهرة ١٩٥٧م.

٢٤–تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي محمّد بن محمّد الحسيني (١٢٠٥هـ) ، تح/ مجموعة من المحققين، ط دار الهداية .

٢٥– التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا بن شرف النووي (٦٧٦هـ) تح أ/ محمد الحجار، ط دار ابن حزم.

٢٦–التحرير والتنوير للشيخ/محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت١٤٢٠هـ

٢٧–التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني(٨١٦ هـ) ص٧٦ تح أ/إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب العربي–بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٨–تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ) تح أ/سامي سلامة، ط دار طيبة١٤٢٠هـ..

٢٩–تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ) ،تح أ/ محمد عوض ،ط إحياء التراث–بيروت ٢٠٠١م.

٣٠–التوقيف على مهمات التعاريف للشيخ/ محمد عبد الرؤوف المناوي ،تح د/ محمد رضوان، ط دار الفكر–بيروت١٤١٠هـ.

٣١– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) تح د/عبد الرحمن اللويحق،ط الرسالة١٤٢٠هـ.

٣٢–جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري(٣١٠ هـ) ،تح /أحمد شاكر ،ط الرسالةببيروت ٢٠٠٠م.

٣٣–الجامع الصحيح للإمام محمد بن إسماعيل البخاري(٢٥٦هـ) تح د/مصطفى البغا، ط دار ابن كثير – بيروت١٩٨٧م.

٣٤–الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) ، ط دار الجيل بيروت .

٣٥–الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن فرح القرطبي (٦٧١ هـ) تح أ/سمير البخاري ،ط عالم الكتب بالرياض٢٠٠٣ م.

٣٦–الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (٣٧٠هـ) ، تح د/ عبد العال سالم مكرم،ط دار الشروق – بيروت١٤٠١هـ).

٣٧–الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني(٣٩٢ هـ) ،تح أ/محمد علي النجار،ط عالم الكتب– بيروت العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ) ٣٣/٨ "دبر" تح د/ مهدي المخزومي وآخر، ط دار الهلال بالقاهرة

٣٨–ذيل طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، تح د/ عبد الرحمن العثيمين، ط مكتبة العبيكان – الرياض١٤٢٥ هـ.

٣٩–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ) ،تح أ/ على عطية ،ط العلمية . بيروت١٤١٥ هـ.

٤٠–شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الاستراباذي(٦٨٦ هـ) ،ط دار العلمية.

٤١–شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تح د/محمد خليل هراس، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية ١٤١٣هـ.

٤٢–الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري(٣٩٣ هـ) أحمد عبد الغفور،ط دار العلم للملايين – بيروت١٤٠٧هـ

٤٣–الفتاوى الكبرى لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ) ،تح أ/محمد عطا وآخر، ط العلمية– بيروت ١٤٠٨هـ .

٤٤–فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ط دار المعرفة – بيروت١٣٧٩.

٤٥–فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ) ،تح/ مروان العطية وآخرين، ط دار ابن كثير– بيروت١٤٢٠هـ

٤٦–الفوائد لابن القيم ، ط دار العلمية – بيروت١٣٩٣هـ.

٤٧–القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٠٧هـ) عناية د/خالد السبت، ط دار ابن الجوزي بالرياض ١٤٢٠هـ.

٤٨–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٥٣٨ هـ) ، ط الكتاب العربي . بيروت١٤٠٧ هـ.

٤٩– لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) ، تح أ/عبد الله الكبير،ط دار المعارف بالقاهرة.

٥٠–مجموع رسائل الحافظ ابن رجب لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) أ/طلعت الحلواني، ط الفاروق الحديثة١٤٢٤هـ

٥١–المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٤٥٨هـ) تح د/عبد الحميد هنداوي ط دار العلمية٢٠٠٠م .

٥٢–مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِيّ (٢٩٤هـ) اختصار العلامة/ أحمد بن علي المقريزي،ط فيصل أباد– باكستان ١٤٠٨ هـ.

٥٣–مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام /محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ، تح الشيخ/ محمد حامد الفقي،ط دار الكتاب العربي – بيروت١٣٩٣هـ

٥٤–مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي(بعد ٦٦٦ هـ) تح أ/ محمود خاطر،ط مكتبة لبنان–بيروت١٤١٥هـ

٥٥–المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ) ،تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط الرسالة–بيروت١٤٢١ هـ .

٥٦–معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٥١٠هـ) ،تح/عبد الرزاق المهدي،ط إحياء التراث –بيروت١٤٢٠هـ

٥٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري (٣١١هـ) تح د/عبد الجليل شلبي، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨م.

٥٨- معالم السنن لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي (٢٨٨ هـ) ط المطبعة العلمية - حلب١٣٥١هـ.

٥٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ.د/محمد حسن جبل ، ط مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠١٠م.

٦٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ/ محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار الكتب المصرية بالقاهرة١٩٤٥م.

٦١- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تح أ/إبراهيم مصطفى وآخرين، ط دار الدعوة بالقاهرة

٦٢- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) ٢/٣٢٤ "دبر" تح أ/ عبد السلام هارون ، ط دار الفكر-بيروت ١٩٧٩م.

٦٣- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر الرازى(٦٠٦هـ) ، ط إحياء التراث العربي . بيروت.

٦٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية(٧٥١هـ) ، ط العلمية، بيروت.

٦٥- المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ) تح أ/صفوان عدنان، ط دار العلم- دمشق ١٤١٢هـ .

٦٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي(٦٧٦هـ) ، ط إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ.

٦٧- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/محمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ) ط عيسى الحلبي بالقاهرة.

٦٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(٨٨٥ هـ)٥/٢١٢، تح/عبد الرزاق المهدي، ط العلمية ببيروت ١٤١٥هـ.